

362.962: H34mA

حسن - عبدالرؤوف

مصلحة فواد الاول حلوون

APR 9 8038

73

مصحح فؤاد الأول بجلوان

ذكريات عشرين عامًا

بقلم
الدكتور عبد الرؤوف حسن
مدير مصحح فؤاد الأول بجلوان

دبلوم الصحة العامة ودبلوم الرخصة للتأليف - (مباشرة كبريج - إنجلترا)
افضل الرخصة للرعاية الصحية (فرنسا) ومحات رافيس ريزان (سويسرا)

cat. nov. 1947

67468

۱۹۴۶



المنصور له حمزة صاحب الجلالة الملك بنو العبد
منشئ المصحة وصاحب فكرتها وراعيها

الأهمل

الى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم

فلا وفاء أول

العترة الفاتية بيمينك والدة العاهل العبقري من شىء المصطفى

والعقيدة على الوفاء المصدور من الذرية السنية من أولادها في نهج

الكافها الخلال عشرين عاماً تحية لجمالها وتعظيمها وكرامتها

بخدمته وكرامته ٩

إِلَيْهَا..

عُودِي إِلَى مَاضِي عُهُودِكَ وَأَرْجِعِي
يَا مَنْ قَرَارُكَ فِي حَنَايَا أَضْلَعِي
وُجُحِي فِدَاكَ ، وَمَا مَلَكَتُ وَدِيعَةً
عِنْدِي ، خُذِي مِنِّي الْوَدِيعَةَ أَوْ دَعِي
لَا تَحْسَبِي نَجْوَى قَوْلًا زَانِفًا
مِثْلِي إِذَا نَاجَى فَلَيْسَ بِمُدَّعٍ
قَدْ عِشْتُ أَيَّامِي طَيِّبًا شَاعِرًا
الْحُبُّ نَهَجِي فِي الْحَيَاةِ وَمَشْرَعِي
يَا سَائِلِي عَمَّنْ أَشَبَّ بِاسْمِهَا
إِنِّي شُغِفْتُ بِحُبِّ هَذِي الْأَرْبَعِ
دَارٌ بَدَلْتُ لَهَا عُصَاةَ مُهْجَتِي
طَوْعًا وَمِلْتُ لَهَا بِقَلْبٍ طَيِّعٍ

ظِلُّ الْمَصْحَةِ لَا يُفَارِقُ خَاطِرِي

يَوْمِي ، وَإِنْ أَغْفَيْتُ حَفَّ بِمَضْجَعِي

مَا زِلْتُ عَنْ كُنْهِ الْحَيَاةِ مُنْقَبًا

حَتَّى ظَفَرْتُ لَهَا بِسِرِّ مُقْنِعِ

يَمْشِي الْأَنَامُ إِلَى مَصِيرٍ وَاحِدٍ

خَطْوُ الْوَيْدِ لَهُ كَخَطْوِ الْمُسْرِجِ

حَسَبُ الْكَرِيمِ الْحُرِّ خِدْمَةُ قَوْمِهِ

حَيًّا ، وَبَعْدَ الْمَوْتِ حُسْنُ الْمَرْجِعِ

يَا دَهْرُ خُذْ مَا شِئْتَ ، لَسْتُ بِمُوهِنٍ

عَزِيزِي ، وَمَهْمَا جُرْتُ لَسْتُ مُرَوِّعِي

لِي فِي الْمَصْحَةِ عَنْ هُمُومِكَ شَاغِلٌ

أَحْلَلْتُهُ فِي الْقَلْبِ أَشْمَى مَوْضِعِ

عِشْرُونَ عَامًا مِنْ حَيَاتِنَا مَعًا

أَصْدَاءُ قِصَّتِهَا تَعَاوَدُ مَسْمَعِي

رَأَيْتُ نَهْجَ الصَّدَقِ فِي تَسْطِيرِهَا
لَا خَيْرَ فِي قَوْلِ أَمْرِي مُتَصَنِّعٍ
أَنْشَأْتُهَا ذِكْرِي وَجِئْتُ أَزُفُهَا
جُهْدَ الْمُقِلِّ لَدَى الْمَقَامِ الْأَرْفَعِ
تَهْدِي إِلَى « الْفَارُوقِ » مَفْخَرَةِ الْحُمَى
سِبْلِ الْكَرِيمِ الْعَبْقَرِيِّ الْأَلْمَعِ
إِنَّ الْمَصْحَةَ نَفْحَةً عَلَوِيَّةً
مِنْ فَيْضِ وَالِدِهِ الْأَرِيبِ الْمُبْدِعِ

* * *

« فَارُوقُ » وَأُسْمُكَ مِثْلُ فِعْلِكَ مِدْحَةٌ
أَغْنَتْ بَيَانِي عَنْ قَصِيدٍ مُتَمَعٍ
مَوْلَايَ ، مَا وَرَدُ الْقَصَائِدِ مَشْرَبِي
كَلًّا ! وَلَا رَوْضُ الْقَوَافِي مَرْتَعِي
أَثَرْتُ عَنْ حَمْلِ الْبِرَاعَةِ عَيْشَتِي
مَا بَيْنَ مِسْمَاعِي وَبَيْنَ الْمِبْضَعِ

وَأَعْتَضْتُ عَنْ لَهْوِ الشَّبَابِ وَزَهْوِهِ

مَجْدَ الطَّيِّبِ الْقَانِعِ الْمُتَوَرِّعِ

قَاتَمْتُ مَرْضَى الصَّدْرِ قِسْوَةَ عَيْنِهِمْ

فِي مَهْمِهِ نَاءٍ وَقَفَرٍ بَلَقَعِ

حَسْبُ الْمُكَافِحِ أَنْ يَعَيشَ لِفَنِّهِ

مُتَرْفِعًا عَنْ مَغْنَمٍ أَوْ مَطْمَعِ

عبد الرؤوف حسن

تقديم

ترجمة رسالة من جناب الدكتور رينيه برناند مدير المصلحة الأسبق
بمناسبة انقضاء عشرين عاماً على بدء العمل بالمصلحة

عزيزي الدكتور عبد الرؤوف :

إنني لأستجيب لدعوتك إياي للمساهمة في رسالتك التي ترمع كتابتها بمناسبة
مضى عشرين عاماً على إنشاء المصلحة ؛ ولقد رأيت من الأفضل
أن أرسل لك هذا الخطاب ؛ ويسرني أن أراه منشوراً بين
ما ستذكره فيها عن أعمال المصلحة وأخبارها ونواحي نشاطها .
ذلك لأنني دائماً الشعور برباط وثيق من المحبة العميقة
والاهتمام الدائم بمصير المصلحة التي عملنا معاً على تنظيمها
خلال (١٩٢٦ إلى ١٩٢٩) تلك السنوات المليئة بالصعاب
والحلو الذكريات . وإن هذه الفترة من حياتي لتتزامن ذكرياتها على خاطري متلاحقة .
لقد تركنا وطننا سويسرا — بلاد المراعي والغابات والمياه الدافقة —
لنجد أنفسنا فجأة وسط الطبيعة الصحراوية الجرداء ، ولم تكن مصحتنا العتيقة
أكثر من بنيان متهدم ؛ وكان على أول الأمر أن أجد مأوى لعائلي : زوجي
بصحتها الحساسة ، وأطفالنا الخمسة ، وأصغرهم عمره أقل من عام .
وقد اخترنا ضاحية المعادي الفيحاء لسكنانا . ولكن بعد شهر من مقامنا
بها قالت لي « مدام برناند ، زوجي : « ليس لنا مقام في هذه الجنة ، لقد جئنا
إلى مصر في سبيل المرضى ، فلنذهب لنعيش في جوارهم !! »



الدكتور رينيه برناند

وانتقلنا إلى حلوان حيث خصصت لنا وزارة الأوقاف في مبنى المصححة مسكناً ظريفاً ،

وكان لزاماً على أن أتعلم العربية — وهى لغة لا تبدو فى الواقع سهلة — غير أننى سرعان ما تعلمت على الأقل كلمة «معايش» ، تلك الكلمة التى كم استنجدت بها فى الملمات ، بحيث أدخلت استعمالها فى سويسرا ؛ وكان علينا فوق ذلك أن تندمج فى بيئتنا الجديدة ، وأن نعمل جاهدين فى تنظيم البناء المتسع الأرجاء الذى يجب أن يعد على وجه السرعة ، ليصبح ملاذاً لمرضى السل البائسين فى مصر . وإنك لتذكر يا صديق العزيز تلك الجهود الذى بذلناها . لقد اتسع صدر وزارة الأوقاف لمطالبنا المتعددة المتتالية . وقد لقينا أحسن الاستعداد والتشجيع من ولاية الأمر بالوزارة «حضرة صاحب السعادة ابراهيم فهمى باشا (وكيل الوزارة حينئذ) وحضرة صاحب العزة الدكتور سالم بك هنداوى ، وحضرة الدكتور نظم» ، ولكننا كنا نحس أحياناً أن العبء الذى ننوء به أثقل مما تحمله أكتافنا وتحتمله قلوبنا ؛ وكان يبدو لنا أن المهمة الملقاة على عاتقنا مستحيلة التحقيق فى الوقت المحدود المقدر لها . ولكن صوتاً كان يتردد صداه فى طوايا ضميرنا باستمرار : أن لا بد من إنقاذ المسلولين فى مصر ؛ وكان هناك إحساس عميق يخالجنا يستحثنا ، هو الشعور بالتبعة التى شرفنا بجلالة الملك المعظم فؤاد الأول بتحميلنا إياها ؛ وكان لزاماً علينا أن نشابر جاهدين للقيام بأعبائها .

وهكذا رويداً رويداً بفضل تآزر الجميع بدأت المصححة تصبح صالحة لأداء رسالتها ، وتوافد المرضى رعيلاً إثر رعيلى ، ونال الشفاء كثيرون منهم ، وثبت أن أثر الجو الصحراوى فى شفاء السل أثر مدهش ، خصوصاً فى فصل الشتاء ؛ وحتى

أثناء شهور الصيف — حين كنت تقوم وحدك بإدارة المصححة ، موفور النشاط حتى الضمير — لم تبطل سرعة التقدم . ولقد أيدت هذه الحقائق ما امتاز به الملك المعظم فؤاد الاول من الزكاة وبعد النظر ، إذ كان أول من فكر في اختيار حلوان مكاناً لإنشاء المصححة .

وإنك لتذكر — يا زميلي العزيز — ذلك اليوم الذي لا ينسى ، ١٩ فبراير سنة ١٩٢٨ ، تاريخ الافتتاح الرسمي ، فقد كان جزاءنا على جهودنا ، كان يوماً صحواً من أيام وطنك الجميل ، تقاطر فيه سرة القاهرة ووجهاؤهم ليحيطوا بالمليك حين قدم وزير الأوقاف صاحب المعالي الغرابي باشا إلى مولاه (مصحته)

ولقد جاس المليك خلال المصححة يواسي مرضاها ، ويحييهم بعطف ؛ وأعجب جلالتة بملابس الخدم ، ونظافة غرف المرضى ، وبالكل (الناموسيات) وقد زانتها شرائط حمراء في أقسام الحريم ، بل في أقسام الرجال أيضاً ، وحتى المباسق كانت غير عاطلة من الزينة ...

ولقد شعرت بشيء من الحرج حين سألتني المليك : « أهذه هي الحال دواما ؟ »

وقد تطلع المرضى من الشرفات إلى مليكهم يحيونه بحماس حين نزل إلى الحديقة ، فقال لي جلالتة باهتمام وعطف : « قل لهم أن لا يرفعوا أصواتهم لئلا يؤثر ذلك في صدورهم !! » ولكن تحياتهم ودعائهم للمليك واعترافهم بحميله كانت تتعالى وتزايد .

وقد سار كل شيء بعد ذلك على ما يرام ، اللهم إلا بعض المضايقات المشهورة التي سببتها لنا طريقة الصرف (مجارى المصححة) ، إلا أنني أرجو أن تكون

غابة شجر الكافور التي كان مزعماً إنشاؤها قد تكاثفت الآن ، وتولت التخلص من مياه المصحة الموبوءة .

وأخيراً حل يوم مُتجههم حزين في أواخر صيف عام ١٩٢٩ : يوم الوداع .. فلقد كانت صحة زوجي ومشكلة تعليم أولادي الخمسة عوامل حاسمة في تقرير الرحيل ، إذ كان يسعدني أن أظل في مصر بضع سنوات أخرى لأساهم في إنشاء المستوصفات وغيرها من معاهد العلاج .

وقد كان وداعنا المؤثر للمرضى وأحبائنا في مصر فراقاً مادياً لا غير ، أما عواطفنا وأفكارنا فظللت على اتصال دائم بهذا البلد الذي اعتبرناه وطننا لنا خلال ثلاث سنوات كاملة .

لقد كتبت لي اليوم — أيها المدير العزيز — وطى خطابك صور شاهدة على مبلغ ما في عملك من مجهود قوى منتج . فاسمح لي أن أهنئك على هذا الجهد البديع وتلك النتائج الرائعة . واني لأعرف أن مصحة فؤاد تتولاها أياد قديرة ، وليس هناك شيء في الوجود يزيد نفسي رضى وشكراً لله أكبر من على أن عملنا العظيم الذي اضطلعنا به معاً اطلاق الرواد منذ عشرين عاماً لم يكن عبثاً بل انتج هذه الثمار لصالح بلد سأظل أنا وعائلي نكن له الحب دائماً .

وأرجو أن تبلغ جميع أحبائنا في مصر وفي حلوان تحياتنا القلبية ، وأطيب تمنياتنا لمستقبل وطنك الجميل ، ومستقبل مصحة فؤاد الأول على الأخص ، ولأولئك المرضى الذين سيقصدونها ليجدوا فيها الصحة والعافية ، مع تحيات المودة من الدكتور رينيه برناند .

لوزان (سويسرا) في ٨ يونيو ١٩٤٦

تمهيد وإيضاح

لكفاح السل في مصر خلال العشرين عاماً الأخيرة قصة رائعة شائقة تستحق التسجيل لطرافتها. وأحداثها لا تزال حية ماثلة في أذهان الذين خاضوا غمار معاركها الأولى، وشهدوا وقائعها من وراء الستار، وما زالوا إلى اليوم أحياء يستعيدون بينهم وبين أنفسهم هذه الذكريات حلوها ومرها، دون أن يعنى أحدهم بتدوين هذه الذكريات، ونشرها على الملأ، لأن تيار الحياة يجرفهم معه، وأعباءها تنقل كواهلهم، فلا تواتيهم الظروف للعكوف على الكتابة والنشر. ولقد قدر لي في صدر شبابي أن أشهد المعركة من بدايتها الأولى، وأن يدفني حماس عجيب إلى أن أخوض غمارها جندياً بسيطاً مغامراً بكل ما أملك من جهد. وكان القدر يسوقني أمامه، وأنا في اندفاعي لا أتلفت إلى الوراء، ولا ألوى على شيء. وها أنذا بعد أكثر من عشرين عاماً، أجد نفسي في مكاني المختار — مصحة فؤاد الأول بحلوان — أرقب معركة كفاح السل في مصر، وأشهد أحداثها، وأبجل تطوراتها في هدوء وصمت.

وهذه الرسالة القصيرة، التي سأتناول فيها ذكرياتي عن مصحة فؤاد بحلوان منذ إنشائها إلى الآن، لا تهدف إلى أبعد من تسجيل لمحات عابرة عن جهود المعهد الذي فكر فيه وأمر بإنشائه ورعاه عاهل عبقري عظيم، هو المغفور له حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول، الذي تتشرف المصحة بحمل اسمه الكريم. فمن حق المصحة علىّ، وقد مزجت حياتي بحياتها هذا الأمد الطويل، أن أؤرخ لها، وأن أبجل بعض جهودها في إيجاز بالغ.

وأنى لأغالب فى نفسى حين أتصدى لهذا الحديث حياء يكاد يمنعنى عن الكتابة، لولا إيمانى بأن نزعة أداء الواجب يجب أن تغلب على كل اعتبار آخر، فالحديث الذى يتعين على أن أسوقه ليس أكثر من رواية جندى صغير ساهم بنصيبه الضئيل المحدود فى عمل إنسانى جليل، وهناك آخرون من حقهم على أن أسجل لهم ما بذلوه من جهود ليس من الانصاف أن تطوى أخبارها عن الناس إلى الأبد.

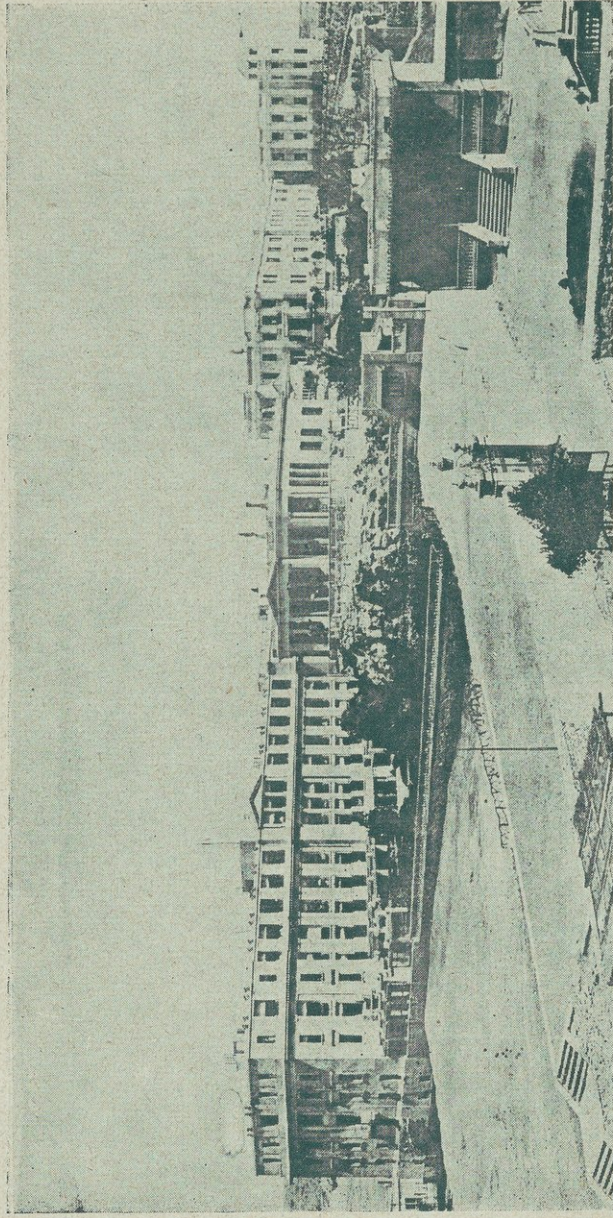
إن فكرة إنشاء أول مصحة فى مصر لعلاج مرضى السل هى أول خطوة إيجابية خطتها البلاد فى سبيل كفاح مرض فتاك عضال، كان يخترم آجال ضحاياها الكثيرين فى مصر فى صمت مروّع رهيب، دون وازع ولا رادع؛ وسنرى كيف تطورت هذه الفكرة وأصبحت حقيقة واقعة، وما اكتنف التنفيذ من عقبات وصعاب.

وفى وسعى أنؤكد تأكيد عليم، أنه لولا النجاح الذى لقيته هذه المصحة لما تطور كفاح السل فى مصر هذا التطور السريع الذى يشهده الذين عاصروه منذ البداية بكثير من الغبطة والاستبشار.

ومن حق القارئ الكريم أن أصارحه بأننى حين بدأت أفكر فى إعداد هذه الرسالة قدرت أنها يجب أن لا تكون رسالة علمية جافة ضافية الذبول لايضمها غير المشتغلين بكفاح السل، بل قررت أن أجعل منها قصة إنسانية سلسلة متسقة السياق، لا تخلو من طرافة يستسيغها القارئ العادى فى سهولة ويسر، ويستوعب محتوياتها فى وقت جد قصير دون مشقة أو ملل.

وللراوى تمهيد لابد منه لبدأ القصة من أولها:

فى شتاء سنة ١٩٢٥، بعد أن انتهيت من بعثتى الدراسية فى جامعة كمبريدج



منظر عام للصحة من الواجهات القبليه، ويرى الجناح الشرقى إلى اليمين، والجناح الغربى إلى اليسار.
والأخير هو الذى استخدم فقط عند إنشاء المصحّة فى سنة ١٩٣٦.

ويلاحظ أن نصف الجناح الشرقى فقط يبدو فى الصورة أما نصفه البحرى فغير ظاهر.

بانجلترا ، كنت أقضى في ليزان (Leysin) بسويسرا إجازة دراسية عند الدكتور روليه (Dr Rollier) الذى يعالج مرض السل الجراحى بأشعة الشمس . وقد ترمى إلى بمحض الصدفة ، من طالب طب مصرى كان يستشفى في ليزان ، أن هناك مفاوضات بين الحكومة المصرية وجناب الدكتور رينيه برناند (Dr René Burnand) مدير المصلحة الشعبية بليزان ليتولى إدارة مصلحة مصرية في حلوان ترمع الحكومة إنشاءها لعلاج أمراض الصدر .

وكان هذا الخبر العادى العابر قبساً إلهياً فتح أمامى آفاقاً مترامية من الآمال . ولم أكن قد زرت حلوان من قبل ، ولكنى كنت أسير فى طرقات ليزان الجبلية اتطلع إلى ما فيها من مصحات شامخة ، فأرى بعين الخيال مصلحة مصرية في حلوان ، قائمة على سفح ربوة عالية ، وأننى أسير فى طرقاتها وأدخل حجراتها وأرعى مرضاها ناشطاً دموياً .

ولست أدري إلى اليوم مبعث ذلك الشعور الغلاب الذى استولى على بحيث قرّ فى ذهني أننى سأكون المساعد المصرى للمدير السويسرى للمصلحة المصرية التى لم تكن فى ذلك الحين غير مجرد فكرة لا أدري عن ظروفها شيئاً ؛ ولكنه الشباب والخيال الشاعرى الجامح هما اللذان صوراً لى أنه لا مستحيل على القلب الشجاع ، فتركت ليزان إلى دافوس پلاتز (Davos - Platz) أكبر وأقدم مراكز المصحات فى سويسرا لأعد نفسى لحمل الرسالة التى لم ينتدبنى أحد لحملها !

وحين عدت إلى مصر قصدت وزارة الأوقاف فى اليوم التالى لوصولى والتمست مقابلة حضرة صاحب العزة الدكتور سالم بك هندأوى ، مدير القسم الطبى فى ذلك الحين ، دون معرفة سابقة ، بل دون أن أتزود بأية توصية أو شفاعاة ؛ وسألته أن يتيح لى فرصة خدمة وطنى فى منصب وكيل مصلحة فؤاد . وهو طلب جرى حقاً من طبيب شاب مغمور لا وسيط له ولا شفيع . . .

ولقد كان هذا اللقاء الأول بيني وبين هذا الرجل الكريم النبيل نقطة تحول حاسم في حياتي العملية ؛ وإنى لأتتهز هذه الفرصة لأؤدى له بعض مافى عنق من دين ، بأن أعلن على الملأ جاداً صادقاً ، أن حضرة صاحب السعادة الدكتور سالم هندواوى باشا هو الذى أخذ بيدي إلى منصب وكيل مصحة فؤاد الأول دون معرفة سابقة أو شفاعة لاحقة ، ولولا مافى طوايا هذا الرجل النادر الصفات من أمانة وإخلاص وشرف ونبل لفاز بهذا المنصب غيرى ممن تزودوا بشفاعات الكبراء ووساطة ذوى الجاه والنفوذ . . .

ولقد ظلت مصحة فؤاد الأول بحلوان منذ ولجتُ بابها لأول مرة ، ولا تزال إلى الآن ، شغل حياتى الشاغل ، والميدان الذى اخترته لبذل جهدى فى خدمة وطنى ، وإنى لأدين لها بكل شئ ، وأعتز بها كما يعتز الابن البار بأمه الرءوم . . .

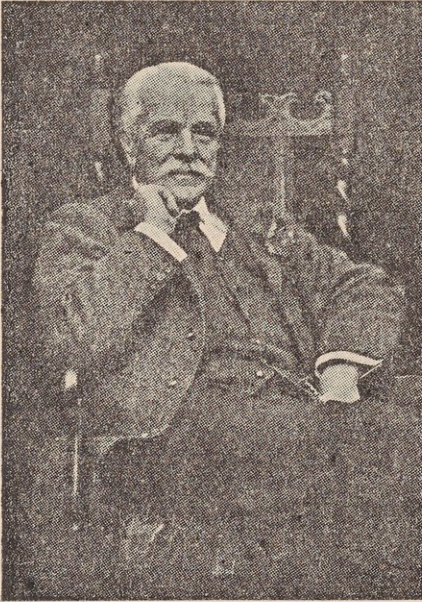
وها أنذا فى عيدها العشرين أروى قصتها ، وأتحدث عنها إلى الناس فى حنان وإحساس عميق بالوفاء والاخلاص ، باعتبارها المدرسة التى أتلقى إلى اليوم بين جدرانها الدروس ، وأستجمع التجارب ، وأختزن الذكريات ، وأستقبل كل يوم وفوداً متلاحقة من أبناء وطنى المصدورين ، الذين أخذتُ على نفسى عهداً أمام الله أن أقضى الحياة فى خدمتهم راضياً مغتبطاً سعيداً ، فما عاش من عاش لنفسه فقط .

القسم الاول

عهد وزارة الاوقاف - الادارة السويصرية
(من أكتوبر سنة ١٩٢٦ إلى مايو سنة ١٩٣٢)

١ - قصة مبنى المصححة وتاريخه^(١)

كان البارون يوهان فون كنوب (Yahann von Knop) ، نبيلاً روسياً موسراً من أصحاب أكبر مصانع النسيج في برلين (بألمانيا) ، وبتروغراد (بروسيا) وليقريول (بانجلترا) . وكانت له ابنة مرضت وتوفيت بالسل بانجلترا . وأصيب ابنه أيضاً بالسل ، فقصده به مصر للاستشفاء في أواخر القرن الماضي .



البارون يوهان فون كنوب

وبعد أن زار الأقصر استقر بحلول : وشاء الله أن يشفى ابنه من مرضه الخطير بفضل جو حلوان الشتوي البديع ، حوالى سنة ١٩٠١ ميلادية .

(١) نقلاً عن المرحوم الدكتور ولهم برمنجر - Dr. W. Preminger - آخر طبيب تشيكوسلوفاكي تولى الإشراف الطبي على « فندق الحياة » .

وشعر البارون كنوب الشيخ ، أن جو حلوان قد أفاده صحياً فائدة ملبوسة فأصبح بالغ الخامسة والتشيع لحوان ، واشترى في سنة ١٩٠٢ منزلاً يقع على ربوة عالية في شرق حلوان كان يملكه « محسن بك » ، أحد وجهاء حلوان ، واستقر به ليستمتع بجو حلوان أطول مدة ممكنة .

وخطر له في السنة التالية أن يؤلف شركة مساهمة ، بدأت برأس مال قدره ثمانون ألفاً من الجنيهات ، زيد بعد ذلك إلى مائة وخمسين ألفاً .

واشترت الشركة مساحة كبيرة من أملاك الحكومة ، وأقامت عليها فندقاً مصحياً - (Hotel-sanatorium) - وهو التعبير الوارد في عقد تأسيس الشركة الرسمي . وقام بوضع تصميم الأبنية والإشراف على إقامتها مهندسون مشهورون من فيينا وسويسرا بين سنة ١٩٠٣ و ١٩٠٦ . وألحق بالفندق المصحى معهد طبي للعلاج كان مديره الأول طبيباً ألمانيا شهيراً اسمه الدكتور هانز فون كامب (Dr. Hans Von Campe)

واختارت الشركة «فندق الحياة» اسماً لهذه المؤسسة، دون إضافة ما يشعر بأنه مصحة ، مراعاة لشعور الجمهور .

وازدهر «فندق الحياة» واستفاضت شهرته ، وقصده السراة وأولياء العهود والملوك من جميع أقطار العالم ، لفخامته واستكمال أسباب الراحة والعلاج فيه . ولما قامت الحرب العالمية الأولى ، استولت عليه السلطات البريطانية على أنه من أملاك الأعداء ، واستخدمته لإيواء الأسرى الألمان والنمساويين أولاً ، ثم لعائلاتهم ، ثم للجنود البريطانيين أخيراً .

ولما انتهت الحرب كان المبنى قد أصبح خرباً مهجوراً . ومات البارون يوهان كنوب في سنة ١٩١٥ ، وجاء أحد الورثة إلى مصر بعد انتهاء الحرب يعرض بيع المبنى وتصفية التركة . . ونفى الخبر إلى حضرة

صاحب الجلالة المغفور له الملك فؤاد الأول ، فأوعز إلى وزارة الأوقاف بشرائه وجعله مصحة لمرضى السل .

فاشترته وزارة الأوقاف في مارس سنة ١٩٢٤ بمبلغ خمسة وعشرين ألفاً من الجنيهات ، وبدى في تنفيذ رغبة المليك ، وطلب إلى المرحوم الدكتور خليف باشا كتابة تقرير عن موضوع استخدام المبنى لعلاج مرضى السل ، فكتب سعاده التقرير الذى سيجىء ذكره فيما بعد .

واختيار الموقع ، وتنسيق الابنية وهندستها ، وطرارها ، يدل على علم وثيق وذوق متماز وخبرة واسعة بما يجب أن يتوافر فى مصحة من الطراز الفريد أنشئت للموسرين .

وأستطيع أن أقدر — بعد خبرة كافية — أن موقع المصحة فريد لا نظير له من وجوه كثيرة ، قل أن تتوافر فى مكان سواه فى جميع أنحاء القطر المصرى .

٢ — فكرة تخصيص المبنى لمرضى السل

ليس فى وسعى - حتى لو أردت - أن أجمال أحداً فى سرد الوقائع وأنا أؤرخ بأمانة تامة خالية من أى غرض ، ولهذا فإنى أؤكد للقارىء الكريم أن فكرة تخصيص المبنى لعلاج مرضى السل فكرة شخصية للمغفور له صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول — رحمه الله — وأن جلالتة هو أول من فكر فيها وأمر بتنفيذها بل أصر على ذلك ، رغم معارضة أطباء كبار ، لهم مكانتهم ونفوذهم ، وأساندة لهم صيتهم الدائع .

ودليلى على ذلك مستمد من الوقائع التالية :

(أولا) فى سنة ١٩٢٦ ، بعد عودتى من الخارج ، قصدت كبيراً مسئولاً

في مصلحة الصحة ورجوته أن يتيح لي فرصة ممارسة اختصاصي ، ولو باعطائي سريراً واحداً في «قصر العيني» . فكان جوابه : يا ابني ، أنت تجري وراء خيال فليس في مصر سل ، وأنا خلال خبرة ثلاثين عاماً لم أر غير عدد محدود جداً من المسؤولين يعد على أصابع اليد ، ابحث لك عن عمل أجدي وأنفع
فاذا كان هذا ما يدور في خلد رجل مسئول ، له مكانته واعتباره ونفوذه ، ففي وسعي أن أقرر مطمئناً أن مدى انتشار السل في مصر يومئذ كان مجهولاً لا يُعنى أحد ببحثه أو الاهتمام بمحاولة كفاحه .

(ثانياً) حين اختارتني وزارة الأوقاف لمنصب وكيل مصلحة فؤاد ، ذهبت للقاء هذا الكبير المسئول في مصلحة الصحة فقال : يظهر أنك لم تستمع لنصيحتي ، إن المصلحة لا مستقبل لها ، فلن تجدوا مرضى ملء أسرتهما ، وحتى لو وجدت المرضى ، فجر حلوان في الصيف سيسبب لهم نزيفاً رئوياً ، وستضطرون لإغلاقها ، فأجبت : «سنجرب ونرى ما يحدث»

(ثالثاً) في أوائل أيام عملي بالمصلحة ، قابلت أحد أساتذة قصر العيني الأجلاء ، وهو أستاذي ، وله في نفسي إجلال لا حد له ، فقال لي «أنا غير موافق على اختيار حلوان لعلاج مرضى السل مطلقاً ، فهي في الصيف جهنم ، والمرضى الذين سيقضون الصيف في حلوان سيموتون حتماً» . .

ومن حسن الحظ أن هذه النبوءة لم تتحقق ، واسكنها في حينها ، ومن أستاذ واسع الخبرة ، جعلتني أرتقب الصيف الوشيك بوجوم ورهبة وقلق .

(رابعاً) في حفلة الافتتاح الرسمي للمصلحة ، أثناء دخول المغفور له جلالة الملك فؤاد الأول غرفة الأشعة بالمصلحة ، قال له الدكتور برناند مدير المصلحة السويسري : إن التجارب التي جربها ، والإصابات التي عالجها ، دلت على أن إقليم حلوان من أكثر أقاليم العالم ملاءمة لمعالجة الترن الرئوي ، وإن المصلحة

الحالية قائمة في خير مكان يمكن اختياره لهذا الغرض. وهنا ابتسم جلالته وقال بالفرنسية :

« وقل إنى لما طلبت شراء هذه الدار لتحويلها إلى مصحة، عارضوني معارضة شديدة، ولكنى صممت على رأيي وألحت في طلبى... وهكذا يجب على الإنسان أن يتذرع بصدق العزيمة في مثل هذه الظروف ، (١) وهذا التصريح الملكى الكريم ، قاطع حاسم واضح الدلالة بعيد المغزى . (خامساً) في جريدة الأهرام الغراء (العدد ١٥٥٦١ بتاريخ ١٥ فبراير سنة ١٩٢٨ جاء ما يلى :

« وأخيراً حضر أحد أصحاب فندق الحياة في سنة ١٩٢٤ ورغب في بيعه لاستحالة الفائدة منه ، فلما بلغ ذلك مسامع مولانا جلاله الملك المفدى أمر فى الحال بشرائه ، وكلف المرحوم الدكتور ظيفل باشا أن يكتب تقريراً طبياً يفصل فيه الفوائد الجمة التى تعود على الأمة المصرية الكريمة من إعداد مصحة كما كان ، ولكن للفقراء الذين يقعد بهم سوء الطالع عن تحمل نفقات العلاج . وصادفت هذه الفكرة هوى فى نفس المرحوم ظيفل باشا فكتب تقريره المشهور ورفعته إلى وزارة الأوقاف فى سنة ١٩٢٤ والذى نقتطف منه ما يلى :

« أمر جلالته بمشترى هذا المستوصف الجميل والشروع فى تصليحه لعمله مستوصفاً لمعالجة الأمراض الصدرية والأمراض الأخرى التى تشفى وتتحسن بالحالة الجوية الخاصة ببحوان ، (انتهى ما نقلناه عن جريدة الأهرام الغراء) ويتبين جلياً من ديباجة هذا التقرير الطريف وسياقه ، أنه دفاع عن التوجيه الملكى الكريم وتبرير له ، كتبه طبيب ذائع الصيت ، ليردّ به على آخرين أبدوا آراء معارضة ...

(١) نقلا عن الأستاذ كريم ثابت بك فى مقال بجريدة المقطم العدد ١١٨٥٥ بتاريخ ٢١ فبراير

ونحن إذ نبرز هذه الحقيقة التاريخية ونسجلها ونعلنها بعد كل هذه السنوات إنما نرد الفضل إلى صاحبه الأصيل ، ونحى الرءوس إجلالاً لعبقرية المليك الراحل ، وأصالة رأيه وبعد نظره وسعة أفق تفكيره ، حتى في هذه المسألة الطبية البحتة .

٣ - اختيار المدير السويسرى الأول (Dr. René Burnand)

من الحقائق المسلم بها المقطوع بصحتها، أن المعاهد العلمية - وبالأخص العلاجية منها - ليست قيمتها الحققة في ضخامة بنائها وفاخر أثاثها وبهرج طلائها ، بل في اقتدار القائم بالإشراف عليها ، فناً وخلقاً وإنسانية . والمصحات على وجه التحديد ، لا تحتاج في إدارتها إلى العلم وحده ، إذ يتعين أن يجمع مدير المصحة الناجح بين العلم ، والتجربة الطويلة ، والخلق السلس الرضى ، والانسانية الرحيمة الواسعة الأفق ، التى تستوحى في علاج مرضى السلس أنبل المشاعر ، وأسنى ما فى النفس البشرية من دوافع التضحية وإنكار الذات . والمصحة المصرية الناشئة - ولم تكن بعد غير بناء متهدم ، وفكرة إنسانية نبيلة ، خطرت ببال عاهل عبقرى مصلح - كانت فى مسيس الحاجة إلى عالم مجرب ، وإنسان موهوب ماضى العزيمة ، يستطيع أن يحيل هذا المبنى الخرب إلى :

دار تُقَى إلى القلوب سَكينةً وتُفيض عافيةً على الأجساد

وإني إذ أخط هذه السطور بعد عشرين عاماً كاملة - وهى فترة زمنية مديدة تكفى لرواية الحوادث وتقرير الوقائع فى هدوء واتزان - أستطيع أن أؤكد أن اختيار المدير السويسرى الأول - الدكتور رينيه برناند - جمع كل عناصر

التوفيق الإلهي لانجاح مشروع المصححة العتيدة .

ففي ترجمة حياته الموجزة ، التي يراها القارىء في مكان آخر ، يبدو جلياً أنه عالم من طراز نادر ، وكاتب ضليع وأديب ممتاز ، من حظ مصر أن ظفرت به لأداء المهمة الدقيقة التي ندب لها . والذين عرفوا الدكتور برناند ، وكان من حسن حظهم أن عملوا معه ، يعرفون سعة أفقه ، وشخصيته الجذابة المحبة إلى القلوب ، وحبه الصادق لمصر والمصريين ، وإخلاصه القلبى فى تكوين جيل من الأطباء المصريين الذين تابعوا العمل الجليل الذى بدأه ، والذى يقوم إلى اليوم شاهداً على علم الرجل وفضله وتوفيقه .

وفيما يلى بيان طريف عن ظروف اختيار جنابه لإدارة المصححة عثرت عليه مكتوباً بقلبه ولغته السلسة وفيه يقول جنابه :

« فى خريف سنة ١٩٢٥ كانت القنصلية المصرية بسويسرا تبحث عن إخصائى لتنظيم مصححة مصرية تزمع وزارة الاوقاف إنشاءها بحلوان .

وكنت أزمع ترك ليزان (Leysin) للاستقرار بلوزان (Lausanne) لادخال أولادى بمدارسها . وخاطبني القدرى بك ، القنصل المصرى فى هذا الشأن ، فاستهوئنى الفكرة لطرافتها .

وبعد مفاوضات كثيرة تلقيت من وزارة الأوقاف المصرية برقية فى فبراير سنة ١٩٢٦ للحضور إلى مصر ، وقضاء بضعة أسابيع لدراسة مشروع المصححة ووسائل تنفيذه .

وفى ٧ ابريل سنة ١٩٢٦ ، وصلت إلى القاهرة ، وقابلت حضرة صاحب السعادة إبراهيم فهمى باشا وكيل الوزارة ، وحضرة صاحب العزة الدكتور سالم بك هنداوى مدير القسم الطبى الذى استصحبني فى اليوم التالى إلى حلوان فى سيارة ، وهناك وجدنا مصححة المستقبل عبارة عن مكان خرب مهدم تماماً ، وكان القipzig

شديداً ، والطقس استوائى مرهق ، وظاهر الأحوال يدعو الى اليأس والقنوط .
وقادنا (محمد عوض - الخفير) ، والحاج (أحمد الدباح الميكانيكى) وسط
الخرائب المهجورة ، وقدما لنا ماء وموزاً حين أدركنا الكلال والتعب .
وقضيتُ بعد ذلك أربعة أسابيع ، أضع تفاصيل تنفيذ مشروع المصلحة . ففي
الصباح أعمل مع الدكتور هنداوى بك والدكتور نظيم بك بالوزارة فى وضع
قوائم المهمات اللازمة للمصلحة ، ثم أذهب إلى حلوان مع الدكتور هنداوى
بك لتوزيع الأمانة وتحديد المواقع على طبيعة البناء .

ولقد فكرنا خلال هذه الأسابيع الأربعة فى كل شئ ، فى المغاسل وجهاز
تعقيم المباسق وأوانى المطبخ والأثاث والأغطية والآلات الجراحية . الخ .
ورحنا نذرع القاهرة لعمل المناقصات اللازمة من محلات بلاتشى إلى شيكوريل
إلى البون مارشيه إلى محل الدجم (الهلال الأحمر) الخ

وقد حظيت فى خلال هذه الفترة بالتشرف بمقابلة حضرة صاحب الجلالة
الملك فؤاد ، مبتدع المشروع ، وصاحب فكرته ، والمشرف الأعلى على إنجازه .
وفى ٢٠ مايو سنة ١٩٢٦ ، عدت إلى سويسرا بعد أن أمضيت عقداً لمدة
ثلاث سنوات مع وزير الأوقاف حضرة صاحب المعالي محمد توفيق رفعت
باشا بحضور القدرى بك قنصل مصر بسويسرا ، وكان فى مصر بالاجازة فى
ذلك الحين ، على أن أبدأ العمل فى سبتمبر التالى .

وخشية قيظ حلوان على صحة عائلتى ، حجزت بالمعادي مسكناً مناسباً لأقطن
به عند عودتى فى الخريف .

٤ - الصعاب الأولى . المكافون الأبطال

ترك جناب الدكتور برناند إتمام الحديث الذي بدأه فيما أسلفنا ، ففيه وصف طريف شائق يستحق التسجيل للفترة الأولى من حياة المصححة الناشئة :
يقول الدكتور برناند :

« في ٩ سبتمبر سنة ١٩٢٦ عدتُ إلى مصر مع عائلتي ، وكان ابني الأكبر قد عملت له عملية استئصال الزائدة الدودية في الصيف وكان جرحه لم يلتئم بعد . وجاءت معي الآنسة أندريه فلور « Mlle A . Fluhr » وهي ممرضة فرنسية ، خريجة معهد السورس بسويسرا ، والدكتور موريس جليبير « Dr M . Gilbert » على أن يعمل الدكتور طبيباً للأشعة ، ولكنه سرعان ما بذل جهده كله في معاويتي . وبدأنا نواجه صعاباً مئسرة منذ اللحظة الأولى ، فلم تكن وزارة الأوقاف قد قطعت شوطاً بعيداً في ترميم بناء المصححة المهدم خلال الثلاثة شهور السالفة . وكان عليّ أن أجد مكاناً لمبيت طبيب الأشعة والممرضة الفرنسية ، إذ كان البناء خالياً من أي سرير أو غطاء ... »

وأغاثنا الدكتور نظيم بك ، فاشتري سريرين وحشيتين (مرتبتين) وقطع أثاث صنعت على عجل ، ووابورات طبخ عادية (پريموس) ، وبضع (خلل) وتركها لنا على مدخل المصححة ، ومن الأسف أنه لم يكن معنا آلة تصوير لتسجيل هذا المنظر الفريد ... »

وبدأ الطباخ يجهز الطعام على وابورات « الپريموس » ، وتناولنا قهراً تناجلوساً في الحديقة حول مائدة مكونة من صناديق الأسمنت الفارغة ... »

وكانت وزارة الأوقاف قد عينت بعض موظفي المصححة ، أولهم وأقدمهم عمداً « يوسف افندي ساحم المهندس » ورئيسة ممرضات سويسرية « الآنسة جوليا

فالتز، «Mlle Julia Walter» التي استقالت بعد قليل لتحل محلها الآنسة فلور (Mlle Fluhr)، وطبيب امتياز والدكتور عثمان أفندى شاهين، وقد استقال بعد مدة وجيزة، «ومحمد أفندى عثمان» المعاون وأمين المخزن، وهو رجل مجامل مخلص لعمله إلى درجة التفانى فيه حتى الإعياء والتهالك على نفسه من فرط الإجهاد وقد وعدنا أن نقبل أول مريض في ٩ أكتوبر سنة ١٩٢٦ بمناسبة عيد جلوس حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول، برغم أنه كان ينقصنا كل شيء، وكان لابد لنا من البر بهذا الوعد.

وجاءنا مريض اسمه «راءول حزان» من الاسكندرية فقبلناه في هذا التاريخ وافتتحنا به المصححة، وبعد أيام قليلة جاءتنا مريضة اسمها «نجية زغلول» فقبلناها وافتتحنا بها قسم الحريم المجاني. ثم جاءنا موظف مريض من وزارة الأوقاف. وكنا مضطرين لتحديد عدد مرضى المصححة لنترك لوزارة الأوقاف فرصة شراء ما ينقص المصححة من أثاث ومعدات، ولكن المرضى كانوا يتوافدون علينا باستمرار، وكان أهلهم يحملونهم إلينا ويتركونهم في طرقات المصححة لتقدم حالتهم الصدرية.

ومررت بنا أوقات عصيبة مئسرة، فكان الخدم قليلين وعديمي الخبرة، ولم يكن بالمصححة ماء أو كهرباء أو جهاز أشعة أو حتى مطبخ... وكنا نستقي بنقل الماء بالصفائح من منزل قليني باشا المجاور للمصححة، وكانت مجارى المصححة مهدمة، وخزانات المياه فيها خرواق يحاول المهندس بين آن وآخر رأب صدوعها لينع تسرب المياه منها.

واشتريت وزارة الأوقاف سيارة (فورد) على عجل، كانت تحملنا — المدموازيل فلور والدكتور جليبر ومحمد أفندى عثمان وأنا — إلى القاهرة

لنملاها ونعود بها في المساء محملة بالحاجيات المنزلية المتعددة من الكوبة إلى
ممسحة الأطباق ...

وكانت عربات محلات بلا تشي وشيكوريل حين تصل إلى المصححة تحمل
الأثاث وغيره من المشتريات تبعث في نفوسنا كثيرا من الرضى والغبطة .
وفي يناير سنة ١٩٢٧ وجدت من الضروري الانتقال مع عائلتي من
المعادى إلى المصححة لاستحالة إدارة المصححة عن بُعد .

وقد كان من حسن حظنا أن شفى بعض مرضانا شفاء سريعا ، وترامى خبر
هذه الحالات إلى الجمهور فزاد إقبال المرضى على المصححة .

ومن الانصاف للواقع أن لا يلومنا أحد على أننا بدأنا قبول المرضى قبل
إعداد المصححة تماما ، فإن شعور الرفق بالمرضى المساكين هو الذى دفعنا الى ذلك
وحفزنا الى مضاعفة جهودنا ، وقد بذلت لنا وزارة الأوقاف كل معونة ممكنة .

وعلى الرغم من بذلنا كل هذه الجهود ، هاجمت بعض الجرائد مشروع
المصححة وانتقدته انتقاداً مرأ ، ولم نكن نرى أى مسوغ معقول لهذا التجريح
الظالم ، ونعتقد أنه كانت هناك دوافع سياسية من وراء هذا الهجوم .

وفي ابريل سنة ١٩٢٧ عينت وزارة الأوقاف الدكتور عبد الرؤوف
حسن وكيلا للمصححة ، فجاءنا يضيف جهده إلى جهودنا ، ويحمل معنا نصيبه
من الأعباء .

وفي مايو سنة ١٩٢٧ التحق الدكتور اسماعيل شكرى طبيب امتياز بالمصححة ،
بعد أن انتهى من دراسة الطب بجامعة ستراسبورج بفرنسا .

وفي يونية سنة ١٩٢٧ كان الصيف قد أقبل بقيظه ، وكان من حق أن أستريح
بعد كل ما بذلت من جهود مضنية ، فسافرت إلى سويسرا وتركت المصححة الحديثة
العهد للدكتور عبد الرؤوف وكيلى . (انتهى حديث الدكتور برناند)

ولا تعقيب لى على هذه الصورة التى رسمها الدكتور برناند بلغته السلسلة
وتصويره الصادق ، فهى واضحة الدلالة مليئة بالعبر .
وقد بدأت صلتى بالمصححة بصفة غير رسمية فى ٥ يناير سنة ١٩٢٧ (١) حين
رشتنى وزارة الأوقاف لمنصب وكيل المصححة ، حتى ابريل حين تسلمتُ العمل
رسمياً ، وقد شهدتُ عن قرب كفاح الأبطال الذى صورهِ الدكتور برناند ، ثم
انخرطت فى الصفوف ، وخضت غمار الحوادث ، وجرفنى تيارها وصدمتنى
أمواجهها وذقت طعم الكفاح المرير ، وعشت لأروى للناس بقية القصة بعد كل
هذه السنين .

٥ — الصيف الأول العصيب

ولا مبالغة مطلقاً فى استخدام هذا التعبير ، إذ يُعجزنى أن أجد عبارة أخرى
تؤدى المعنى الذى أرمى إلى تصويره وتوكيده .
لقد نجح الكبار — الدكتور برناند ، وولادة الأمر فى وزارة الأوقاف —
بجهدهم الرائع البديع فى أن يخلقوا نواة المصححة ، على الوجه الذى أسلفنا ذكره .
ولكن كان مذخوراً لى فى طوايا الغيب — أنا الطبيب الناشئ المغمور —
أن أهدف فى صيف المصححة الأول لصعاب كثيرة أخرى من نوع جديد
تتزاخم ذكرياتها فى خاطرى الآن ، وسأحاول تصوير بعضها فى إيجاز على سبيل
العبرة والذكرى .

كان الجناح الشرقى — وهو جزء المصححة الأكبر — لا يزال مهجوراً خرباً ،
وكنْتُ أعيش فى أحد غرف الجناح الغربى بين المرضى . وكان زميل ومساعدى

(١) يراجع عدد جريدة السياسة بتاريخ ٥ يناير سنة ١٩٢٧

الوحيد الدكتور اسماعيل شكرى، يشغل حجرة فى بناء متطرف منغل يطل على الجبل، وغادرت المصححة يوماً إلى القاهرة، ولما عدت فى المساء وجدت زميل يطل من أحد نوافذ المصححة يرتقب عودتى، وقد استقبلنى وعلى وجهه أمارات الملح والخوف الشديد. وسألته فى لهفة عما جرى فقال جاداً :

« لا ياسيدى ؛ إن حياتى غالية علىّ ؛ لقد وجدت عقرباً فى غرفتى ، فانظر ما أنت صانع بى ، فلن أبىء فى هذه الغرفة التى تأوى إليها العقارب ... »

وكان علىّ أن أجد حلاً يرضى زميلى ويهدىء من روعه ، لئلا يترك المصححة فأمسى وحيداً بغير زميل أو رفيق أو نصير فى هذا المكان الصحراوى الموحش، الذى لم يكن بعد قد أصبح عامراً زاخراً بالحياة والحركة كما هو الآن، فقد كان المارة يتحاشون الاقتراب من أبنية المصححة خشية العدوى، وكان مكان الحديقة اليابانية البديعة الحالية أرضاً جرداء لا ماء فيها ولا شجر .. والهدوء يغمر المكان حين يقبل الليل موحشاً، لا تتجاوب فيه غير أصداه سعال المرضى الجاف ينبعث خلال شرفات المرضى بين آن وآخر ، ليصل إلى أذنى المرفهة المنصتة ، تحاول أن تحدد مبعث الصوت ومصدره ، وتعالل أسبابه وتعين أصحابه ...

وما غادر الدكتور برناند المصححة فى أواخر يونيه حتى تلاحقت المتاعب على وتتابع ، حتى كأنها كانت معى على ميعاد ...

كانت أعسر المشناكل التى تلوح فوق الأفق وتترأى لعيوننا معضلة رهيبه ، هى ماذا سيحدث للمرضى أثناء قيظ حلوان ؟ وأرجف المرجفون وتحدث العارفون !! بأن المرضى سينزفون حتماً .

وسئل الدكتور برناند عن رأيه ، فأجاب فى تواضع العلماء ، إنه لا يدرى ،

ولكن الموضوع يستحق الدراسة قبل إمكان إعطاء جواب حاسم .

وكان علىّ أن أحمل عبء هذه التجربة الحاسمة في حياة المصححة ومستقبلها ؛ وقبلت هذه المهمة الشاقة العسيرة دون تردد ، بل بتطلع وشوق وارتقاب
ولكن الكثيرين من المرضى ؛ حين علموا بسفر الدكتور برناند ، بادروا إلى ترك المصححة خوفاً من النزيف الرئوى ، وذهبت كل جهودى فى محاولة إقناعهم بالبقاء أدراج الرياح ولم يبق بالمصححة سوى من عجزوا عن تركها لأسباب قاهرة

وكان عدد مرضى المصححة عند سفر الدكتور برناند ٩٤ مريضاً ومريضة ، وجدهم عند عودته ٧٧ فقط .

وفى أوائل الأيام التى توليت فيها إدارة المصححة نيابة عن الدكتور برناند كنت أسير بين المرضى مع زميلى الوحيد ، الدكتور اسماعيل شكرى ، وأنا ألمح على وجوههم وفى نظراتهم تساؤلاً مبهماً ، هو مزيج من عدم الثقة ومن الاحتجاج الصامت على ما كان يبدو علىّ من حداثة السن فى ذلك الحين .

وهاجمتنى جريدة الكشكول ظالمة ، ولكنى وجدت من ولاية الأمر فى وزارة الأوقاف ومن حضرة صاحب المعالى محمد نجيب الغرابلى باشا وزيرها فى ذلك الحين ، إنصافاً وتقديراً أعاداً إلى من هدوء النفس ما كان يعوزنى فى تلك الأيام العصيبة من حياتى

وبالرغم من هذه المتاعب ومن المشاكل الادارية التى كان علىّ أن أجدها حلولاً سريعة حاسمة لا تحتمل الإرجاء والتسويف ، قاومت أعبأى المرهقة بعناد ، واستنجدت بروح الشاعر الذى يسعفه الخيال حين يصدمه الواقع الكريه ، وكنت أنفرد فى الحديقة ليلاً أقرض الشعر هوايتى المختارة ، أطرده به أشباح الوحدة ودواعى اليأس .

ولقد كان حضرة «الدكتور اسماعيل شكرى» بخلقه السلس الوديع ، ووفائه النادر وإخلاصه القلبى ، أكبر معين لى فى هذه الأيام العصيبة التى عشناها معاً رقب ونسجل ، وتتبع حالة المرضى ونرصد ما نشاهده فى عناية ودقة .
وإنى لأعد هذا الصيف أحفل فترة مرت فى حياتى العملية بالتجارب ؛ وأعظمها أثراً فى تكوينى وإعدادى من كل الوجوه ، بل أعتبرها فترة امتحان عسير كان علىّ أن اجتازه بنجاح أو أغير مجرى حياتى العملية وأوجهها وجهة أخرى ، إذا قدر لى أن أتخاذل أو أضعف أو أتردد فى احتمال التبعة التى ألقيت على عاتقى .

ومرت التجربة بسلام ، واستطعت أن أقدم لجناب الدكتور برناند ، حين عاد فى سبتمبر سنة ١٩٢٧ ؛ تقريراً شاملاً دقيقاً عن حالة المرضى فى أثناء الصيف تبين منه بجلاء أن المخاوف التى أثارها المرجفون حول أثر جو حلوان الضار فى أثناء شهور الصيف أو هام لا سند لها من الواقع .
واستطاع جنابه ، بعد أن راجع المشاهدات الاكلينيكية التى جمعت ؛ أن يطمئن وزارة الأوقاف على مستقبل المصححة ، وأن يسجل ذلك فى تقرير رسمى رفعه إلى وزير الأوقاف .

وسنعود إلى توكيده هذه المشاهدات فيما بعد ، حين نستعرض خبرة السنوات الثلاث الأولى من حياة المصححة ؛ إذ كانت خبرة هذا الصيف بداية دراسة علمية نشرت نتائجها النهائية بعد أن أيدتها التجارب المتكررة والمشاهدات المتزايدة على مر السنين ...

وقد انضم إلى أسرة المصححة المصرية ، حضرة «الدكتور محمود العشرى» (١)

(١) وحضرته يتولى الآن منصب مدير قسم الأمراض الصدرية بوزارة الصحة ، والمصححة وحدة من وحدات هذا القسم .

في ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٢٧ طبيب امتياز ، بعد أن انتهى من دراسة الطب في جامعة برلين ، فأصبحنا ثلاثة أطباء مصريين تتقارب أعمارنا ، ويجمعنا رباط وثيق من الإخاء والتعاون ، والتفرغ التام لخدمة هذه المصلحة الناشئة التي مزجتنا شبابنا بشبابها مغتربين هائنين .

وفي الشتاء التالي بدأ الجهد يشمر ، وازداد إقبال المرضى على المصلحة ، وبدأت النتائج العلاجية مشجعة بعد أن عملت بالمصلحة أول عمليات الاسترواح الصدري التي أجريت في مصر « Artificial Pneumothorax » ، وكان علاجاً لا يزال في ذلك الحين مستحدثاً غير شائع الاستعمال ، لا يمارسه غير أساطين المهنة في أوروبا ، ويعد الدكتور برناند من أوائل الرواد العالميين في هذا الميدان .

كما انتهز الدكتور برناند زيارة الاستاذ بيرار (Prof. Berard) لمصر وهو من أشهر جراحى فرنسا ، فأجرى لمريضة بالمصلحة أول عملية تنف العصب « Phrenic Evulsion » وأول عملية قص الأضلاع « Thoracoplasty » كما بدىء باستعمال جميع العلاجات الحديثة التي يعالج بها مرضى المصححات بسويسرا . وأخيراً استقر الرأي على تحديد يوم لافتتاح المصلحة رسمياً ، بعد أن انتظم العمل بها واستكملت بعض ما كان ينقصها من مهمات وأجهزة ، لتبدو جديرة بأن يزورها المليك العبقري الذي أنشأها ورعاها ، « حضرة صاحب الجلالة المغفور له فؤاد الأول » .

ويعد يوم ١٩ فبراير سنة ١٩٢٨ - يوم تشریف جلالتها بالزيارة رسمياً - أحفل أيامها بالذكريات وأبقاها على الزمن .

٦ - افتتاح المصححة الرسمي

في يوم الأحد ١٩ فبراير سنة ١٩٢٨ ، أقيم احتفال فخم في حلوان شرفه
حضرة صاحب الجلالة المغفور له الملك فؤاد الأول ، ورجال الدولة والأعيان
والأطباء ، لافتتاح المصححة رسمياً .

وإني لأذكر بهذه المناسبة ، أن جلالتة تفقّد المصححة بدقة ، وكان
بادي السرور والاعتباط بنجاح المشروع الذي فكر فيه وأمر بتنفيذه رغم
معارضة الكثيرين له ، وأثبت الواقع أن جلالتة كان على صواب تماماً .
وقد قامت الصحافة بنصيحها المشكور ، وانهزت هذه الفرصة المواتية
للحديث عن حلوان ، وعن انتشار السل في مصر ، وعن توجيه الرأي العام
توجيهاً سديداً ، مما أخفت أصوات المعارضين للمصححة والناقدين لها ؛ فلم
نسمع صدى لأصواتهم ، فقد كانت الحقائق الواقعة أقوى منطقاً وأعلى صوتاً
من الأقوال ..

وقد ألقى حضرة صاحب المعالي محمد نجيب الغرابي باشا وزير الأوقاف
بين يدي المليك خطاباً تاريخياً ، رأينا إثباته هنا لطرافة ما حواه ، وها هو ذا
نص الخطاب :

« مولاي صاحب الجلالة :

أرجو أن تسمح لي جلالتكم بتقديم صادق الشكر على هذا التفضل العالي
بتشريف ذاتكم الكريمة حفلتنا الرسمية لافتتاح مصححة فؤاد .

وليست هذه الخطوة يا مولاي إلا حلقة مباركة من سلسلة حلقات
التجديد الذي تشرفون عليه من قرب في عهد ملككم الزاهر .

وإني أبادر فأصرح بأن هذه المصححة التي هي الأولى من نوعها في القطر المصري ما هي إلا ثمرة من ثمرات نصائحكم الغالية . فقد كانت البلاد محرومة إلى سنة ١٩٢٤ من المستشفيات المعدة لعلاج التدرن الرئوي ؛ على ما بها من حاجة شديدة إلى تلك المستشفيات ، صيانة للصحة العامة من فتك هذا الداء الويل ، في حين أن جو بلادنا صالح كل الصلاحية لهذه المعالجة خصوصاً مدينة حلوان التي ثبت أن جوها يفضل في ذلك جميع الأجواء .

فاقتضت مراحم جلاتكم راقية بشعبكم الكريم أن تنشأ مصححة كبرى لهذا الغرض يحد فيها المصابون بالتدرن الرئوي وسائل النجاة ، ويهرعون إليها فراراً من قدر الله إلى قدر الله ، وهم بذلك لا ينقذون أنفسهم فقط ، بل ينقذون في الوقت نفسه أرواحاً عديدة من أفراد أسرهم الذين لا مندوحة لهم عن الاختلاط بهم إذا لبشوا مهملين في منازلهم كما أنهم يحفظون أيضاً حياة عشرات الألوف من الأشخاص المعرضين لعدوى هذا المرض الفتاك .

وما تجلت هذه الرغبة الشريفة حتى بادرت وزارة الأوقاف في مارس سنة ١٩٢٤ فاشتريت «فندق الحياة» بحلوان ، وخصصته لهذا الغرض ، وأطلقت عليه اسم جلاتكم تيمناً واعترافاً بفضل هذا الإلهام السامي .

والمصححة قائمة على ربوة في الطرف الشمالي الشرقي لمدينة حلوان ، وتبلغ مساحة أرضها ٥٧٦٠٠ متر مربع ، ومبانيها تشغل مساحة قدرها ٣٩٦٠٠ متر مربع ، وهي تشتمل على جناحين كبيرين أحدهما في الجهة البحرية والآخر في الجهة القبلية ، مكون كل منهما من أربع طبقات عدا الملحقات ، ويفصلهما فضاء متسع فيه متنزه صغير للمصححة ، وقد اشترتها الوزارة بمبلغ ٢٥٠٠٠ جنيه أرضاً وبناء .

ومنعا من ضياع الوقت رأت الوزارة أن تبدأ بإعداد الجناح البحرى أولا فأدخلت عليه الاصلاحات الضرورية ، وجهازته بما يحتاج إليه من الآلات والأثاث . وهذا الجناح قسيمان ، أحدهما وهو الشرقى للرجال والآخر للسيدات . ويوجد بالجناح المذكور ١٣٥ سريراً منها خمسة وعشرون للدرجة الأولى وأربعون للدرجة الثانية وسبعون للدرجة الثالثة .

ومرضى الدرجة الثالثة هم الذين تقوم وزارة الأوقاف على خدمتهم وتغذيتهم وعلاجهم مجاناً . أما مرضى الدرجة الثانية فيدفعون أجراً بسيطاً روعى فيه الرفق بحالهم والمساعدة لهم . فى حين أن مرضى الدرجة الأولى يدفعون أجراً لا يكاد يتجاوز تكاليف الغذاء والخدمة ، إذ المعلوم أن مصحة فؤاد ليست عملاً تجارياً وإنما هى عمل إنسانى لا تختص به طبقة دون أخرى .

وعينت الوزارة باختيار أحد كبار المتخصصين فى علاج التدرن الرئوى لإدارة المصحة ، ووفقت فى سبتمبر سنة ١٩٢٦ إلى التعاقد مع الأستاذ الشهير الدكتور رينيه برناند لمدة ثلاث سنوات ، وهو حجة فى أمراض التدرن الرئوى ، وله منزلة رفيعة وشهرة ذائعة فى عالم الطب .

ويعاون الدكتور رينيه برناند أربعة من الأطباء هم : الدكتور عبد الرءوف حسن والدكتور إسماعيل شكرى والدكتور محمود العشرى والدكتور بانشو طبيب الأشعة ، ومعهم عدد من الممرضين والممرضات اللاتى مارسن هذه المهنة زمناً طويلاً ، واكتسبن بذلك خبرة عملية لا غنى عنها .

وبدأ قبول المرضى بالمصحة فى ٩ أكتوبر سنة ١٩٢٦ تيمناً بعيد جلوس جلالتك على عرشكم المجدى ، ولم تكن قد انتهينا بعد من عملية الترميم والتأثيث وقبل أن يتكامل عدد الموظفين وما يتطلبه العمل من معدات .

ولقد دعانا إلى نهج هذا السبيل الواجب للإنسان؛ فرضى التدرن الرئوى
عديدون في مصر، وما نبي إليهم قيام الوزارة بهذا المشروع المفيد حتى انسلوا
إليها من كل حذب، وكان من العسير إيصاء باب المصلحة في وجوههم، وبات
لزاما علينا أن نستخر لخدمة من نستطيع قبوله منهم كل ما بأيدينا من
معدات محدودة.

ولا يخامرنا أى ندم على اتباع هذه الطريقة بالرغم مما سببته من متاعب
للقائمين بأمر المصلحة، لأنها مكنتنا من تقديم المعونة إلى عدد كبير من المرضى
بل من إنقاذ حياة الكثيرين منهم.

وبلغ عدد الذين دخلوا المصلحة من تاريخ قبول المرضى بها لغاية الآن
٤٥١ مريضا، وهذا العدد ليس بالقليل إذا لوحظ أن أمراض الصدر تحتاج
في شفاؤها إلى الزمن؛ إذ يلزم لعلاج المريض في الأحوال التي لا تكون
شديدة الخطورة مدة تتراوح بين سبعة وعشرة شهور، وفي بعض الأحيان
يمكنك المريض بالمصلحة من ١٢ إلى ١٨ شهراً إذا كانت الإصابة أكثر خطورة.

وقد زاد الإقبال على المصلحة زيادة كبيرة حتى بلغت طلبات الدخول
التي لم تمكن إجابتها لعدم وجود المكان ٢٤١ طلباً للدرجة الثالثة و ٤٠ للدرجتين
الأولى والثانية.

وإني أعتقد أن المصلحة قد اكتسبت ثقة جانب كبير من الجمهور المصري،
وسيعمل المرضى الذين يعودون إلى أهليهم بعد تمام شفاؤهم على إتمام هذه الثقة،
فإن النتائج الطبية للعلاج بالمصلحة قد فاقت كل ما كنا نؤمله، وهي أوجب للرضى
في حالات التدرن في الأدوار الأولى، فإن ٨٣٪ من هذه الحالات كان
العلاج فيها ناجحاً. أما المرضى في الدور الثاني فقد نجح العلاج في ٦٠٪ منهم.

يقابل ذلك ٢٦ ٪ فقط ممن كانوا في الدور الأخير من أدوار المرض . وهي نتائج قابلة دائماً للتحسن .

والمصحة هي في الوقت نفسه مدرسة يتعلم فيها المرضى كيف يقومون بالاحتياطات الصحية اللازمة ، وبذلك لا يحدث منهم خطر على الآخرين ، وبنوع خاص على الأطفال . لذلك عنيت المصحة بتلقيهم التعاليم الصحية العملية وتفهيمهم أن التدرب يتبع في سيره طريقة خاصة ، وأنه لا يمكن شفاؤه بفعل الأدوية الساحرة بعد تناول مقادير خاصة منها ؛ بل إن شفاؤه يتم بالصبر وتعود النظام . والتعاليم الصحية العملية التي يتلقاها المرضى لا تقل في الأهمية عن شفاؤهم بالذات ، لأنهم يلقونها لذويهم وللجمهور الذي يختلطون به بعد شفاؤهم ، وبهذه الطريقة تصبح المصحة عاملاً من العوامل الفعالة في إيقاف تيار مرض التدرب الرئوى في مصر .

ومن الحقائق التي يدركها المرضى بالمصحة أن مرض التدرب الرئوى قابل للشفاء متى عولج علاجاً منظماً في أول أدواره ، وأنه ليس مرضاً وراثياً حتماً بل يمكن مع اتخاذ بعض احتياطات سهلة التنفيذ منع انتقاله من الآباء إلى الأبناء .

ومما تهم معرفته حالات الشفاء الخاصة التي حصلنا عليها في المصحة ؛ فقد تم شفاء عديدين من المرضى المصابين بإصابات خفيفة أو متوسطة الخطورة في مدة تتراوح بين السبعة والعشرة شهور بحالة تماثل في سرعتها وتماثل نجاحها ما يحدث بالضبط في مصحات أوروبا .

وفي الواقع فإنه إلى جانب تأثير الجو الجميل النادر المثال ، تطبق في المصحة أحدث طرق العلاج ، وخصوصاً العلاج بالعمليات ، وأكثر المرضى بالحمى

الدرنية تنخفض درجة حرارتهم تحت تأثير الراحة وجودة الجو في الاشياء الأولى من العلاج .

وقد شوهد ازدياد الوزن بين المرضى مطرداً وسريعاً حيث وصلت الزيادة في بعض الحالات إلى ١٥ بل إلى ٢٠ كيلوجرام في مدة لا تتجاوز أربعة أشهر .

وقد أقمنا النتائج العامة للعلاج بأن جو حلوان لا يضارع في شفاء التدرج
الرئوي، وأن اختيار هذه البقعة لإنشاء المصحة كان اختياراً موفقاً تمام التوفيق
وكان البعض يظن أننا سنواجه مشكلة خطيرة في أوائل الصيف وأن
المضاعفات ستصيب معظم مرضانا حتماً من جراء الاحتقانات كارتفاع الحمى
والنزيف الرئوي وما إليهما. ألا أنه يسرني أن أقرر بأنه لم يتحقق لحسن الحظ
شيء من هذه التنبؤات ولم تؤثر حرارة الجو الشديدة في صيف العام الماضي على
إطراد الشفاء نظراً لأن نسيم الصحراء جعل الليالي في حلوان محتمة والجم
إلى حد ما منعشاً بحيث حصلنا في شهور الصيف على نسبة تماثل تقريباً ما حصلنا
عليه من حالات التحسن أو الشفاء أثناء الشتاء .

وقد رأت الوزارة لزيادة انتفاع المرضى بمواهب جناب مدير المصلحة أرا
لا تضن بالترخيص له بعمل عيادات خارجية لمن يرغبون في استشارته
وبلغت هذه العيادات لغاية الآن ٨٠٦

مولای :

لقد شجعنا نجاح الخطوة الأولى التي خطتها المصححة في ضوء نصائحكم الغالية وبحسن تعاضيد البرلمان على إتباعها بأختها. وسيهاً الجناح القبلى قريباً لقبول المرضى ويكون مخصصاً لمرضى الدرجة الثالثة. وبذلك يكون مجموع الأمر

بالمصحة ٣٣٥ سريراً ، وأدرجت المبالغ اللازمة لذلك فعلا في ميزانية السنة الحالية وفي مشروع ميزانية السنة المقبلة . وبذلك يكون مجموع نفقات إعداد الجناحين ٢٧٤٧٨ جنهما . وليس هذا بالمبلغ الكبير في جانب الفوائد الجمة التي تنجم عن هذا المشروع الخيري لحفظ صحة الشعب . فالمصحات هي أمضى سلاح لمحاربة التدرن الرئوى ولذلك قامت جميع الدول الأوروبية تنفق عليها بسخاء . وقد أصدر مؤتمر الممالك ضد التدرن الرئوى المنعقد في لوزان سنة ١٩٢٥ تقريراً جاء فيه أن الوفيات بمرض التدرن الرئوى قد نقصت بمقدار ٥٠ في المائة في الممالك التي يعالج فيها بواسطة المصحات التي تسير على الطرق الصحية .

ومصحة فؤاد هي بمثابة الطليعة في المؤسسات الصحية التي يجب إنشاؤها لتقصي هذا الداء واستئصاله في القطر المصري .

والأمل وطيد يامولاي في أن نتبع هذه الخطوة خطوات أخرى موفقة إن شاء الله لإعلاء شأن هذه المصحة وتوسيع دائرة أعمالها حتى يكون أثرها في صيانة الصحة العمومية أعمق وأنفع وأعم في ظل حكمكم الدستوري السعيد الحافل بأنواع الخيرات والذي يؤتي كل يوم أبرك الثمرات .

وفي الختام لا يسعني يامولاي إلا أن أبتهل إلى الله العلي القدير أن يثبت عرشك ويصون ملكك ويطيل عمرك وأن يلحظ بعنايته الإلهية حضرة صاحب السمو الملكي ولي عهد المملكة المصرية الأمير فاروق .

لا زالت خطواتك يامولاي لمواساة الرعية مواسم ، وأيامك الغر بشمس التجديد بواسم « (انتهى نص خطاب معالي الوزير) .

وتابعت المصحة أعمالها بعد الافتتاح الرسمي في نشاط، واطرد نموها، وزاد عدد مرضاها، وتزاحم المرضى على أبوابها يلتمسون الدخول فلا يستطيع تلبية طلباتهم لعدم وجود أمكنة كافية للعدد المتزايد من المرضى المنتظرين.

وقبيل سفر جناب الدكتور برناند بالإجازة الصيفية قام بسعى مشر لدي أصدقائه العاملين في ميدان كفاح السل في الخارج، ونجح في أن تقبل مصر عضواً في الاتحاد الدولي لكفاح السل ومقره باريس، وهي أول مرة تشترك فيها مصر في هذا الميدان الدولي.

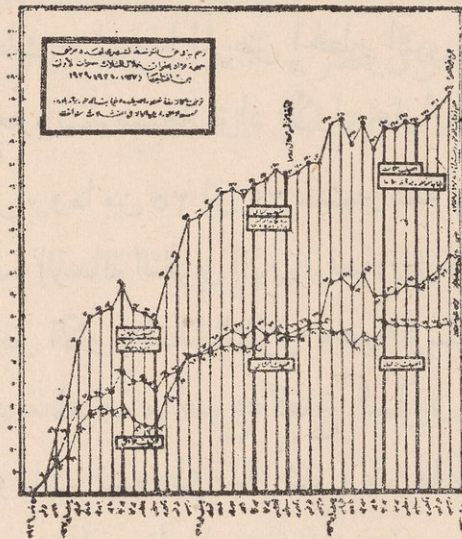
وبمناسبة انعقاد المؤتمر الدولي السادس لكفاح السل بروما في سبتمبر سنة ١٩٢٨ اقترح جنابه تمثيل مصر فيه، فوافقت الحكومة المصرية على أن أشهد هذا المؤتمر مع جنابه مندوبين رسميين عن مصر. وسأتحدث عن ذكريات هذا المؤتمر فيما بعد.

وسافر جنابه في آخر يونيه سنة ١٩٢٨ بالإجازة على أن ألقاه في روما في سبتمبر، وترك المصحة تحت إشرافي في صيفها الثاني...

وكانت المصحة قد ألفتى وألفتها، ووئقت الأيام ما بيني وبين المرضى من أواصر المودة والتفاهم، وشعرتُ بالفارق الهائل بين موقفى من المرضى خلال الصيف الأول وبين ما غمرنى به من ثقة خلال الصيف الثانى، وشهدتُ حفلة وداع جناب الدكتور برناند قبل قيامه بالإجازة، فأثر في نفسى أبلغ تأثير ما بدأ من المرضى من دلائل المودة وعرفان الجميل فأقبلت على عملى بالمصحة خلال هذا الصيف منذ اللحظة الأولى عامر القلب بالإيمان بفضل الله، مطمئن النفس هادئ البال، بالغ الحماسة، موفور النشاط، يعاوننى زميلائى حضرة الدكتور

إسماعيل شكري وحضرة الدكتور محمود العشري ، معاونة قلبية سداها المودة ولحمها الاخلاص .

واستطاعت المصححة لأول مرة أن تتابع نشاطها في أثناء الصيف كاملا ولم ينقص عدد مرضاها بل زاد فعلا ، وهي ظاهرة تستوقف النظر وتستحق التسجيل . وفي الرسم البياني التالي ما يوضح هذه الملاحظة أبلغ توضيح خلال سنوات المصححة الثلاث الأولى :



رسم بياني عن عدد أسرة المصححة خلال السنوات الثلاث الأولى

وفي أواخر سبتمبر سنة ١٩٢٨ تركت المصححة وديعة بين يدي زميلي الدكتور اسماعيل شكري والدكتور محمود العشري ، وسافرت إلى روما لشهود المؤتمر الدولي السادس لكفاح السل على أن يعود جناب الدكتور برناند بعد انتهاء المؤتمر مباشرة في الأسبوع الأول من شهر أكتوبر التالي .

٧ - أول مؤتمر دولي لكفاح السل تمثل فيه مصر

أن انضمام مصر إلى عضوية الاتحاد الدولي لكفاح السل ، ومقره المركزي باريس ، يعد بحق جهداً من جهود مصحة فؤاد الأول بحلوان ، وفضلاً يسجل بالحمد لمديرها الأول جناب الدكتور برناند ، إذ لولا وجود المصحة ، ولولا ما بذله مديرها من مسعى شخصي لدى المشرفين على هذا الاتحاد لما استطاعت مصر أن تنتظم في زمرة الأمم التي تعنى بكفاح السل ، وتعتقد المؤتمرات لتبادل الآراء ، ونشر الأبحاث حول هذا المرض الخطير الذي خطت مصر أول خطوة عملية في سبيل كفاحه بإ إنشاء مصحة فؤاد الأول بحلوان .

وقد عقد المؤتمر بروما من ٢٥ إلى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٨ ورأينا أن نسجل في أحد ملحقات هذه الرسالة التقرير الذي رفعناه إلى معالي وزير الأوقاف بهذه المناسبة ، والملحق الأول لهذا التقرير وهو الرسالة التي قدمناها للمؤتمر وهما أول محاولة جديدة لمعالجة موضوع كفاح السل في مصر ، وقد أثبتناهما لما فيهما من معلومات تبدو طرافتها أشد وضوحاً بعد أن مرت عليها كل هذه السنوات .

وهناك ملحق ثان ضاق نطاق هذه الرسالة الوجيزة عن نشره عن « أسس كفاح السل في مصر » (١) سنشير إليه فيما بعد .

ولقد كان شهود هذا المؤتمر الدولي حادثاً هاماً في حياتي العملية ، وجميلاً اعترف به لوزارة الأوقاف ، إذ مكنتني في صدر شبابي من أن أعرف إلى النخبة الممتازة من أساطين المهنة ، وأن أتصل بكثير منهم اتصالاً شخصياً

(١) نشر هذا التقرير في المجلة الطبية المصرية عدد نوفمبر سنة ١٩٢٩ .

مباشراً . وأضافت وزارة الأوقاف إلى فضلها السابق منه أخرى ، إذ منحتني إجازة دراسية أقضيها في أوروبا لألتبس من مغارف الغرب مايزيد معارفى ويضيف إلى تجاربى ويكمل إعدادى ، لأستطيع أن أتابع عملى بالمصحة أوسع أفقاً وأوثق تجربة .

وقد انتهزت هذه الفرصة فقامت بدراسة عملية لمشروعات كفاح السل فى فرنسا، وزرت عدداً كبيراً من معاهد العلاج بها، وتابعت دراسة جامعية عن السل فى استراسبورج . ولما عدت إلى مصر استخلصت من دراساتى رسالة عن « أسس كفاح السل فى مصر » ألحققتها بالتقارير التى رفعناها إلى الحكومة المصرية عن مؤتمر روما . وقد كان هذا التقرير فاتحة دراسات أخرى حول هذا الموضوع نشرت فيما بعد . . .

وفى أكتوبر سنة ١٩٢٨ انضم إلى أطباء المصحة زميلان هما حضرة الدكتور محمود شريف (وكيل المصحة الحالى) بعد تخرجه من جامعة استراسبورج (فرنسا) وحضرة الدكتور عبد العزيز الشال (الطبيب بالمصحة الآن) بعد تخرجه من جامعة انسبروك (النمسا) ، وبهما أصبح مساعداً الدكتور برناند خمسة أطباء مصريين ، وطبيب أشعة هو الدكتور بانشو (سويسرى) وبدأ العمل الفنى بالمصحة يؤتى ثماره ، وبدأت المصحة معهداً جديراً بالآمال التى عقدت عليه عند إنشائه . ووجد الأطباء المصريون فى المصحة مدرسة عملية وميداناً فسيحاً لجهودهم يبذلونه فى سبيل بلادهم ، يقودهم أستاذ قدير موفور النشاط غزير الانتاج ، يعد بحق أروع مثال لما يجب أن يكون عليه مدير مصحة نموذجية علماً وخلقاً وإخلاصاً .

وفى هذه الفترة الغزيرة الإنتاج اكتملت عناصر أهم الابحاث التى صدرت عن المصحة فيما بعد .

وفي يوم ١٩/١٢/١٩٢٨ زار المصلحة أعضاء المؤتمر الطبي الدولي الذي عقد بالقاهرة في ذلك الحين ، وأقامت وزارة الأوقاف لهم حفلاً تاريخياً جمع كثيراً من أساطين الطب في الخارج، أذكر منهم السير روبرت فيليب أستاذ السل بجامعة أدنبره والرائد الأول في إنشاء المستوصفات في العالم ، والأستاذ بيزانسون أستاذ السل بجامعة باريس ، والأستاذ جونان عميد جامعة لوزان، وغيرهم من أصحاب الأسماء اللامعة في أوروبا. وقد كانت هذه المناسبة فرصة لإعلان هؤلاء الأعلام تقديرهم وإعجابهم بعمل المصلحة الفنى، ومدى النجاح الذي صادفه علاج السل في حلوان، بعد أن شهدوا بأعينهم آثاره ونتائجه الملموسة .

وقد تابع الدكتور برناند عمله بالمصلحة إلى منتصف يونيه سنة ١٩٢٩ حين أزمع الرحيل نهائياً لظروف خاصة لم يستطع معها أن يطيل غيابه عن سويسرا. ولا أزال أذكر الوداع المؤثر التي ودعه به مرضى المصلحة وأطبائها جميعاً ، فقد عرفنا الرجل وزاملناه فأكبرناه وأحببناه ...

والآن وقد مضت كل هذه السنوات أشعر بأن من أحب الواجبات إلى نفسى أن أسجل له هنا عرفاناً بالجميل ، هو صدى لما يحول في نفوس جميع من أسعدهم الحظ بالاتصال به في أثناء مقامه بمصر ، وفي خطاب التقديم المنشور في صدر هذه الرسالة ما يكشف عن عمق الشعور الكريم الذي يحمله لمصر والمصريين .

وقد ترك جناب الدكتور برناند المصلحة وبها ١٦٥ مريضاً ومريضة في آخر يونيه سنة ١٩٢٩ كانوا يشغلون القسم الغربى من المصلحة ، أما القسم الشرقى منها فقد ظل خالياً .

واستطعنا أن نتابع العمل في أثناء الصيف وخلال الشتاء التالى ارتقاباً

لتعيين مدير سويسرى جديد ، رأت وزارة الأوقاف أن يتولى إدارة المصلحة بعد مديرها السويسرى الأول ...
وفى آخر ديسمبر سنة ١٩٢٩ جاء المدير السويسرى الثانى وبالمصلحة ١٨٥ مريضاً ومريضة ...

ولنا هنا وقفة قصيرة نستعرض فيها بإيجاز جهود المصلحة فى سنواتها الثلاث الأولى ، إذ هى فى رأينا فترة التأسيس والتدعيم التى استطاعت خلالها أن تكتسب ثقة الجمهور وتقدير ولاية الأمر وأن تستمتع بشهرة فى مصر وفى الخارج هى رأس مال أمثالها من المعاهد .

٨ - استعراض وجيز لجهود المصلحة

فى سنواتها الثلاث الأولى

ظلت مصلحة فؤاد الأول بحلوان خلال هذه السنوات الثلاث الأولى من حياتها معهداً فريد النوع ، يعالج مشكلة كفاح السل فى مصر لأول مرة علاجاً عملياً ، تبدو آثاره ونتائجه واضحة ملموسة لا سبيل إلى المكابرة فى أهميتها . ويمكن تلخيص جهودها فيما يلى :

(أولاً) الميدان الصحى الاجتماعى :

قدمت المصلحة الدليل الحاسم على انتشار السل فى مصر ، واستطعنا أن نستخرج من سجلات المصلحة بياناً عن مصدر الحالات التى عولجت بالمصلحة تبين منه أن مصادر العدوى موجودة فى جميع أنحاء البلاد مدنها وريفها على السواء ، حتى الواحات جاءنا منها مرضى مصابون بالسل .

والرسم التوضيحي التالى يبرز هذه الحقيقة ويجلوها تماماً : (١)

(١) عن رسالة « مشكلة السل فى مصر وارتباطها بالاصلاح الصحى العام » ، المؤلف .



ونوقش موضوع
 انتشار السل في مصر
 لأول مرة في مؤتمر دولي
 ورفع لأول مرة أيضاً
 تقرير عن أسس كفاح
 السل في مصر كان مقدمة
 لما تلاه من تقارير
 ومشروعات إصلاحية
 كثيرة أخذت الحكومات
 المتعاقبة تعمل جاهدة على
 وضعها موضع التنفيذ .

واستطعنا خلال هذه
 السنوات أن نثير اهتمام
 الرأي العام بموضوع
 انتشار السل في مصر
 بمحاضرات عامة متعددة ،
 أقيمت في قاعة يورت
 بالجامعة الأمريكية وفي
 مناسبات أخرى .

الشكل رقم ٢ ، يلاحظ أن مصادر العدوى بالسل ثبت وجودها في كل مراكز القطر المصري
 في الريف والبنادر على السواء وفي الواحات أيضاً

ولعل أبلغ الدلائل على ما كان لانشاء مصلحة فؤاد من أثر بعيد في اقناع
 لالة الأمر بمصلحة الصحة بأهمية كفاح السل في مصر ، أن بدأت مصلحة
 صحة تنشئ المستوصفات المتممة لأعمال المصلحة ، فبدأت في سنة ١٩٢٩
 بانشاء مستوصفين أحدهما بالقاهرة (بولاق) والآخر بالمنصورة ، وأنشئ في
 سنة ١٩٣٠ مستوصف ثالث بالقاهرة (المبتديان) ، وفي نفس العام وافق حضرة
 صاحب السعادة المرحوم محمد شاهين باشا على إيفاد أحد رجال مصلحة الصحة
 في بعثة إلى إنجلترا لدراسة السل ، بعد أن كان سعادته في أول العهد بانشاء مصلحة
 فؤاد الأول لا يؤمن برسالتها .

ولقد وقع الاختيار على حضرة الدكتور محمود سليمان أباطه بك المفتش
 بقسم الأمراض المتوطنة في ذلك الحين ليكون أول مبعوث من أطباء مصلحة
 لصحة إلى إنجلترا لدراسة السل ، فسافر في ١٣ أبريل سنة ١٩٣٠ وعاد في
 ٢٩ يولييه سنة ١٩٣١ ليبدأ جهوده الموفقة في الميدان الصحي الاجتماعي
 لكفاح السل في مصر رائداً متمازاً ، يمتد نشاطه إلى آفاق أبعد من أهداف
 المصلحة المحصورة في النواحي العلاجية ، فكان أول مدير لقسم الأمراض
 لصدرية بوزارة الصحة عند إنشائه في سنة ١٩٣٦ .

وليست الناحية الصحية الاجتماعية من صميم واجبات المصلحة ولا من
 أهدافها ، ولكنها اقتحمت هذا الميدان متطوعة ، حتى تولاه حضرة صاحب
 العزة الدكتور محمود سليمان أباطه بك ، وبذل فيه من الجهود المثمرة ما يبدو
 ثره اليوم للعيان من معاهد للوقاية والعلاج تنزايد باطراد وتنتشر في أنحاء
 البلاد وتقدم الاسعاف والمعونة لآلاف المصدورين في مصر .

(ثانياً) الميدان العلبي : امتازت هذه السنوات بإنتاج علبي مشر ، إذ
 جمعت المصلحة مشاهدات إكلينيكية كثيرة كانت مادة خصبة للرسائل العلمية

التي صدرت عن المصححة خلال هذه السنوات وما بعدها .

وأهم ما استخلصته المصححة من تجاربها حقيقتان بارزتان تستحقان التسجيل هنا :

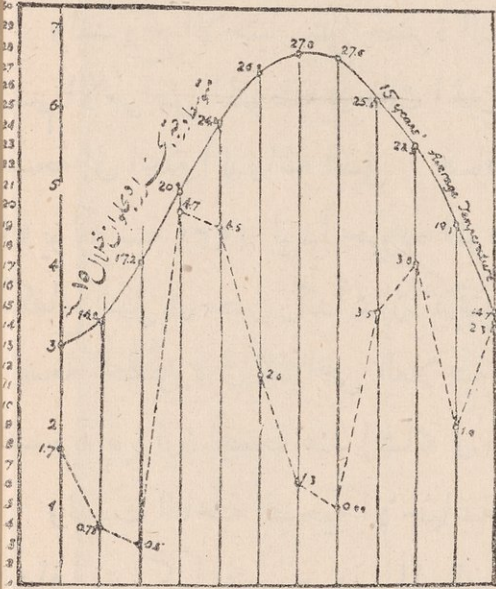
أولاهما - أن العلاج المصححي في حلوان يوازي في نتائجه أحسن ما يمكن الحصول عليه في المصححات السويسرية ، وذلك بناء على خبرة إخصائي قضي خمسة عشر عاماً يدير مصححة سويسرية بليزان قبل أن يحجى إلى حلوان .

ثانيهما - تبين من دراسة أثر حرارة الصيف على صحة مرضى الصدر أنها لا تعوق العلاج ولا تؤخره ، وأن المخاوف من النزيف الرئوى كانت وهمية لا تركز على أساس علمي . والرسم البياني التالي يوضح هذه الحقيقة بأجلى بيان (١)

(ثالثاً) المصححة كمعهد تعليمي :

كانت المصححة في هذه الفترة من حياتها معهداً تعليمياً لأطباءها المصريين الخمسة ، تولى الدكتور برناند تسكويهم من كل الوجوه ، بحيث تعد مصححة فؤاد مدرسة عملية لهم زاخرة بالملاحظات والتجارب مما لاغنى عنه لاكتساب الخبرة والمراعاة .

وإني لأعتبر تكوين هذه الأسرة الطبية الصغيرة تحت رعاية عالم نابِه كالـدكتور برناند من أجل الخدمات التي أداها هذا الرجل المخلص لمصر والمصريين ...



شكل بياني يوضح نسبة حدوث النزيف الرئوي بين خيبر والراف في شهر الربيع سنة ١٩٢٨
وشرح بياني يوضح نسبة حدوث النزيف الرئوي بين خيبر والراف في شهر الربيع سنة ١٩٢٨

(١) نقلا عن رسالة د. أثر الجو في حدوث النزيف الرئوي بحلوان ، للمؤلف بالانجليزية (مؤتمر القاهرة

٩ — تعريف بجناب الدكتور رينيه برناند

أول مدير سويسرى لمصلحة فؤاد الأول

قبل أن يتقلد هذا المنصب (١)

وُلد الدكتور رينيه برناند فى فرساي (فرنسا) فى ٩ يونيه سنة ١٨٨٢ - أى أنه كان فى بدء عامه الخامس والأربعين حين تولى إدارة مصلحة فؤاد . وقد أمضى دراسته الثانوية فى مونيخ .

فى سنة ١٩٠٥ حصل على دكتوراه الطب من جامعة مونيخ .

• • • ١٩٠٦ • دبلوم الطب السويسرى من جنيف .

• • • ١٩٠٨ • طبيب امتياز بمستشفيات جنيف .

• • • ١٩٠٨ — ١٩١١ • وكيلًا لمصحات بليزان (Leysin)

• • • ١٩١١ — ١٩٢٦ • مديرًا للمصلحة الشعبية بليزان .

• • • ١٩٢٦ • مديرًا لمصلحة فؤاد بجلوان .

مؤلفاته الأدبية : ثلاثة مؤلفات ، أحدها ترجمة لحياة والده المصور

السويسرى الشهير « يوجين برناند » .

مؤلفاته العلمية : كتابان علميان عن السل .

رسائله العلمية : بلغت ٩٦ رسالة فى مختلف الأبحاث الطبية حول السل .

رسائل دكتوراه قدمها تلاميذه : ست رسائل كلها تتناول موضوع السل .
والدكتور برناند يتميز بأسلوب واضح سلس في كل ما يكتب ، وهو يجمع
بين اقتدار الأديب الفنان وتبحر العالم المتمكن في اختصاصه ، الذي اشتهر به
في أوروبا شهرة واسعة بين جميع المشتغلين بموضوع السل .

١٠ — المدير السويسري الثاني

دكتور إريك زيمرلي

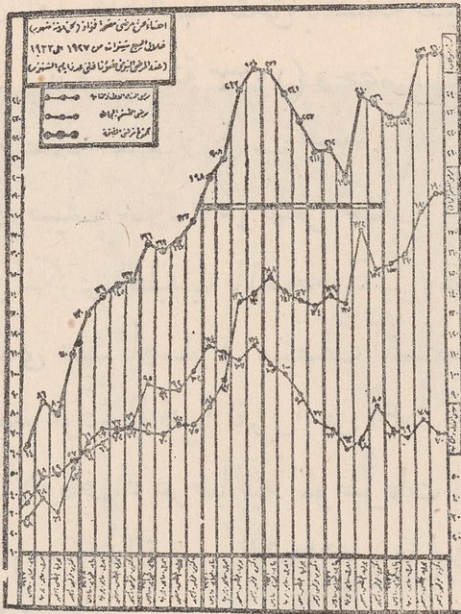
كان بودي أن أسجل في هذه الرسالة ظروف اختيار جنابه مديراً للمصحة ،
كما فعلت عند ما تحدثت عن الدكتور برناند ، وأن أورد لمحة عن حياته ؛
ولكن سجلات المصحة خالية تماماً من أية وثائق أو تقارير يمكن الاسترشاد بها
لسد هذا الفراغ ؛ وقد اعتذر جنابه عن المساهمة في هذه الرسالة التذكارية
لاستكمال هذا النقص .

وكل ما أستطيع ذكره عن جنابه ، اعتماداً على الذاكرة فقط ، أنه كان حين
تولى إدارة المصحة شاباً يجاوز الثلاثين من عمره بسنوات قلائل ، وقد حصل
على دكتوراه الطب من جامعة بال (Basel - Suisse) ودبلوم الاتحاد السويسري ،
ثم سافر إلى إنجلترا فحصل على إجازة الطب الإنجليزية ، ومارس مهنته في مصحات
سويسرا إلى أن وصل إلى منصب وكيل أحد مصحات أروزا (Arosa) حين
اختارته وزارة الأوقاف في يناير سنة ١٩٣٠ ليُعيّن منصب مدير مصحة فؤاد
بحلوان . وقد بذل جنابه أقصى ما استطاع في إدارة المصحة ثلاث سنوات ، تخلى
بعدها عن العمل باختياره في ديسمبر سنة ١٩٣٢ .

١١ — استعراض وجيز لحالة المصحة

أثناء الثلاث السنوات الثانية

لم يُقدّم جناب الدكتور زيمرلى أثناء توليه إدارة المصحة أية تقارير سنوية من المصحة لوزارة الأوقاف يمكن الرجوع إليها في الوقت الحاضر .
ولكن الرسم البياني التالي يوضح نمو المصحة في هذه الفترة من حياتها ،
قد أشير إلى الفترة التي نتحدث عنها بخط أفقي مزدوج .



الشكل رقم (٤) يبين نمو المصحة
التدريجى خلال ست سنوات من
الإدارة السوبرية والسنة الأولى
من الإدارة المصرية ، وقد أشير إلى
السنوات الثلاث الثانية بخط أفقي
مزدوج

ويلاحظ أن المصحة تابعت نموها خلال السنة الأولى فبلغ متوسط عدد
رضائها في أول عام ١٩٣٠ : ١٩٨ مريضاً ومريضة ، زاد في نهاية العام الأول
لى ٢٥٤ مريضاً ومريضة .

ثم هبط هذا المتوسط في السنة الثانية كلها وشتاء السنة الثالثة ، حتى عاد
الى المتوسط الذى بدأت المصحة به في أولى هذه السنوات في آخر يونية

« ملحق تاريخي »

ملاحظة: — لقد أثبتنا هذا التقرير هنا لقيمته التاريخية ، إذ فيه تسجيل
لبدء كفاح السل في مصر .

التقارير المرفوعة الى الحكومة المصرية

عن

المؤتمر السادس للاتحاد الدولي

ضد السل

الذي عقد بروما من ٢٥ إلى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٨

من مصريين ومصر

الدكتور

عبد الرؤوف حسن

وكيل مصلحة فؤاد بحلوان

الدكتور

ريفيق برنار

مدير مصلحة فؤاد بحلوان

التقرير المرفوع

الى حضرة صاحب المعالي وزير الاوقاف

يا صاحب المعالي : —

نتشرف بأن نرفع لمعاليكم تقريرنا عن المؤتمر السادس للاتحاد الدولي ضد السل الذي عقد بروما من ٢٥ الى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٨ ، والذي تفضلتم معاليكم بانتدابنا لتمثيل المملكة المصرية فيه .

ولقد أحرز هذا المؤتمر نجاحاً باهراً ، إذ عُقدت جلسته الافتتاحية بالكابيتول تحت رئاسة السنيور موسولينى رئيس الوزارة الإيطالية وبحضور أعضاء من العائلة المالكة

ولقد أعلن قبول المملكة المصرية عضواً فى الاتحاد الدولي ضد السل فى جلساته وقوبل ذلك بالارتياح الكبير . كما انتخب ممثلاً مصر فى المؤتمر عضوين مستشارين فى هذا الاتحاد . ولقد قوبل الممثلون المصريون بالحفاوة فى إيطاليا وقُدِّم أحدهما شخصياً الى السنيور موسولينى .

ولقد أحاطهما حضرة صاحب السعادة وزير مصر المفوض بروما بكل صنوف الرعاية والحفاوة ولاقاهما موظفو المفوضية المصرية بروما أطيب لقاء . ولقد ضمَّ مؤتمر روما نحو ١١٦٠ (ألف ومائة وستين) عضواً ينوبون عن أربع وأربعين أمة ويمثلون أكبر الاطباء المشتغلين بالسل والذين يعنون بالأبحاث العلمية عن هذا المرض فى أمم الأرض قاطبة .

والموضوعات التى عرضت على بساط المناقشة فى هذا المؤتمر كانت كما يلي :

(١) جرائم التدرن الرئوى التى تمر خلال مسام المرشحات (تقرير

البروفسور كالميت)

(٢) تشخيص التدرن فى سن الطفولة (تقرير البروفسور (ركويما)

(٣) تنظيم الوقاية من السل فى المناطق الريفية (تقرير الدكتور ولیم براند)

ولقد اشترك المندوبان المصريان فى مناقشة الموضوع الاخير بأن قدما تقريراً يبين ما قامت به الحكومة المصرية من الجهد فى سبيل درء خطر هذا المرض عن سكان القطر المصرى . ونتشرف بأن نرفق بهذا نص الرسالة التى قدمت فى هذا الموضوع (الملحق الأول) .

وعلاوة على جلسات المؤتمر العلمية قامت لجنة تنظيم المؤتمر بإعداد معرض يستطيع المرء أن يستطلع منه حالة الكفاح ضد السل فى بلاد عديدة .

ونرى حتماً علينا أن نتشرف بأن ننقل هنا بضع معلومات مفيدة استقيناهما أحياناً من ارتياد الجلسات العلمية وأحياناً أخرى من زيارة المعرض .

وتستطيع الحكومة المصرية وهى راغبة أكيد الرغبة فى محاربة انتشار هذا المرض أن تجد فى اختبارات الأمم الاخرى وتجاربها ما تقفوا أثره .

وأهم ما نستخلصه من مؤتمر روما حقيقتان : —

(الأولى) أن الأنظمة التى قر الرأى على صلاحها فى كفاح السل (عُدّة

الكفاح ضد السل) قد أثبتت الواقع أهميتها ودل الاختبار على نجاحها . أو أنه كلما استعملت الدقة فى تطبيق هذه الأنظمة كانت نتائجها أكثر وضوحاً .

فلقد هبطت نسبة وفيات السل إلى ما يقرب من النصف خلال عشرين

عاماً فى الأمم التى ثابرت على اتباع هذه الأساليب .

(الثانية) أن المجهود الذى تبذله الحكومات والجهات غير الرسمية في كفاح السل قد وصل في كل الأمم المتمدنية إلى حد مدهش في اتساع دائرة حتى أصبح اليوم معدوداً من الواجبات المفروضة الأداء على الحكومات ويتضح ذلك جلياً من الاعتبارات الآتية : —

(١) تخصيص مبالغ طائلة في ميزانيات الحكومات لكفاح السل .

(٢) إنشاء تشريع خاص بالسل واسع المدى في أهميته .

ولزيادة إيضاح هاتين النقطتين نورد ما يلي من المعلومات : —

الاعتبار الأول : لقد كانت نسبة الوفيات بالسل بالدانمارك في سنة ١٨٩٠ تبلغ ٣٠.٣ لكل عشرة آلاف من السكان ، فهبطت هذه النسبة في الوقت الحاضر إلى ٩ لكل عشرة آلاف من السكان .

ومنذ سنة ١٨٩٠ إلى سنة ١٩٢٢ قلت وفيات السل بنسبة ٨٥٪ في الأطفال (أى هبطت إلى الربع) وبنسبة ٧٤٪ تقريباً في الذكور البالغين (ما بين ٢٥ و ٤٤ سنة) وبنسبة ٦٠٪ في الإناث البالغات .

أما في اسكتلنده فقد بلغت نسبة الوفيات بالسل ٣٧.٣ لكل عشرة آلاف من السكان في سنة ١٨٧١ فهبطت في سنة ١٩٢١ إلى ١٢.٢ لكل عشرة آلاف من السكان . أو بعبارة أخرى أنها هبطت إلى الثلث في مدى خمسين عاماً .

ولقد حدث نفس هذا النقص في وفيات السل بانجلترا إذ هبطت نسبة الوفيات من ٣٣.٤ إلى ١١.٣ لكل عشرة آلاف من السكان سنة ١٩٢١ .

ولقد أعلن السير روبرت فيليب الحقيقة التالية : —

(لو أن نسبة وفيات السل في اسكتلنده في سنة ١٨٧١ استمرت كما هي إلى

سنة ١٩٢٢ لبلغت زيادة الوفيات سنوياً ٩٢٤٤ وفاة . أى أن عدد الأنفس التى أنقذت فى مدى ٥٢ عاماً يبلغ فى اسكتلنده فقط نصف مليون نفس) .

ونعتقد بعد تمحيص الإحصائيات المصرية أن وفيات السل فى القطر المصرى تبلغ ٢٠ ألف وفاة سنوياً . ولهذا فإن عدد مرضى السل لابد أن يبلغ ٢٠٠٠٠٠ مائتى ألف مريض . (أعلن السير روبرت فيليب فى مؤتمر واشنطن أن كل وفاة بالسل يقابلها عشرة مرضى بالسل) .

وعلى هذا الأساس نود أن نحدد هنا بعض التحديد ما يجب توافره فى معاهد كفاح السل فى مصر حسب ما اتفقت عليه آراء الثقات المختصين فى هذا المرض فجب أن يوجد فى مصر عشرون ألف سرير وفقاً على مرض السل ، على أن يكون بعض هذه الأسرة فى المصحات المختلفة المخصصة لأنواع السل المتنوعة من رئوية وجراحية للبالغين والأطفال ، كما يكون باقىها فى أقسام المستشفيات الخاصة المخصصة لحالات السل المتقدمة .

وهذه الأسرة المعدة لشفاء الحالات القابلة للشفاء وعزل الحالات المتقدمة التى لا يرجى برؤها لا تكفى ، بل يجب أن توجد علاوة على ذلك مستوصفات للدرن (عيادات مجانية لحالات السل) فى جميع مدن القطر وقراه الكبيرة .

ويجب أن يقوم بأمر هذه المستوصفات أطباء اختصاصيون فى السل يعاونهم ممرضات قانونيات يدربن تدريباً خاصاً على هذا العمل الاجتماعى . وعمل هذه المستوصفات اكتشاف حالات السل ، وأخذ الاحتياطات الوقائية

ونشر الدعاية الصحية بين العائلات .

الاعتبار الثانى : نبسط هنا أمثلة مما شاهدناه بوجه خاص فى المعرض الذى أعد بروما لهذا الغرض . والذى يدل على التضحيات المالية الكبيرة التى خصصتها الحكومات فى السنين الأخيرة لكفاح السل .

الحكومة الإيطالية : خصصت الحكومة الإيطالية فى ميزانيتها لهذا العام ١٢٣٠٠٠٠ ليرة (اثنى عشر مليوناً وثلثمائة ألف ليرة إيطالية) لكفاح السل . وعلاوة على هذا المبلغ فإن قانون التأمين الاجبارى ضد السل فى إيطاليا الذى سنته الحكومة الإيطالية بصفة مستعجلة سيجلب إلى الخزانة العامة خمسة ملايين ليرة لتأسيس معاهد لكفاح السل ، وثلثمائة مليون ليرة سنوياً لإنشاء مستوصفات ومصحات جديدة ولدفع نفقات العلاج المصحى للفقراء .

الحكومة الدانماركية : (ويبلغ عدد سكان الدانمارك ٣٢٨٩٠٠٠ نسمة) خصصت الحكومة الدانماركية لمكافحة السل المبالغ الآتية : —

فى سنة ١٩٢٠	٦٤٤٦١٠٠	فرنك ذهباً
» » ١٩٢١	٥٦٢٩٦٠٠	» »
» » ١٩٢٢	٤٩٠٧٤٠٠	» »

الحكومة الانجليزية : (إنجلترا وويلز) — خصصت الحكومة الانجليزية فى ميزانيتها لسنة ١٩٢٥ إعانة مالية لكفاح السل المبالغ الآتية : —

إعانة لمستوصفات الدرن ٥٣٥٠٠٥٨ جنيه انجليزى وإعانة لمعاهد العلاج ومستشفيات السل ٢٣١٤٧٥٥ رطل ٢٣١٤٧٥٥ جنيه انجليزى .

وهذه المبالغ لا تشمل التبرعات ولا المبالغ التى يستخدمها الأفراد فى معاهد خاصة بكفاح السل .

الحكومة السويسرية : تخصص الحكومة السويسرية في ميزانيتها كل عام مبلغ مليونين من الفرنكات السويسرية (ذهبا) لمكافحة السل . إلا أن الأفراد والجهات غير الرسمية في سويسرا لها مجهودهما في إنشاء عدد عظيم من معاهد العلاج الخاصة، بحيث تعتبر هذه المبالغ التي تصرفها الحكومة السويسرية إعانة جزئية فقط لبعض المعاهد المخصصة لكفاح السل . ويتراوح ما تصرفه سويسرا على كفاح السل سنويا ما بين عشرين مليوناً وثلاثين مليوناً فرنكاً سويسرياً ذهبياً . وعدد سكان سويسرا أربعة ملايين - وعلاوة على ذلك فإن الحكومة السويسرية قد سنت تشريعاً خاصاً بكفاح السل سيوافق عليه مندوبو الشعب قريباً .

وفي هذا التشريع تنظيم قانوني لما يجب اتخاذه من الاحتياطات الصحية وبالأخص التبليغ الإجباري عن حالات السل المعدية . وبهذه المناسبة نذكر أن التبليغ الإجباري عن حالات السل نافذ المفعول في إيطاليا أيضاً .

أما فيما يتعلق بمصر فقد أضيف السل في العام الماضي إلى قائمة الأمراض المعدية الواجب التبليغ عنها . والغرض الأساسي من هذا التبليغ هو بذل المعونة الطبية والاجتماعية للمرضى الذين يبلغ عنهم . إلا أنه من دواعي الأسف أن استشفاء هؤلاء المرضى أو إسعافهم اجتماعياً من غير الميسور في مصر في الوقت الحاضر .

وفي الواقع يقتصر التبليغ على حالات الوفيات بالسل في مصر .

كلمة ختامية

إن الملاحظات التي سبق إبدائها وإن كانت مختصرة ذات صيغة عامة إلا أنها واضحة الدلالة على عناية الأمم المتحدة وعظم اهتمامها بمكافحة السل ودفع

شر هذا المرض الويل الذي يفتك على الأخص بالشبيبة ويحلب الفقر للأمم .
ولقد تبدو هذه المبالغ وتلك الجهود التي تبذلها الأمم مبالغ فيها لأول وهلة .
إلا أن الواقع يدل على خلاف ذلك . فإن الخسارة الاقتصادية الجسيمة التي
يسببها السل وهو مشكلة اجتماعية خطيرة ، تجعل كل تضحية مالية في كفاحه حرية
أن تجد الأمم عنها عوضا . لا من وجهة التقدم الصحي والأدبي فقط ، بل من
وجهة الربح المالى أيضا .

ولقد خطت مصر خطوة موفقة سديدة بافتتاح مصحة فؤاد بحلوان
وبانضمامها مؤخرأ إلى الاتحاد الدولى لمكافحة السل ، إلا أننا نعتقد أنه أحرى
بمصر أن لا تقتصر على ذلك ، بل يجب أن تمضى قدما فى مضاعفة جهودها
والاستزادة من نشاطها فى هذا السبيل .

ولقد عالج أحدنا (الدكتور عبد الرؤوف حسن) فى تقرير عربى خاص
هام (الملحق الثانى) مشكلة السل فى مصر من وجهة عامة ذا كراً الأساس التى
يجب أن يركز عليها كفاح السل فى هذا القطر .

وأملنا وطيد أن لا تتوانى السلطات العامة فى الاهتمام بإنشاء معاهد خاصة
بمكافحة السل لأننا نعتقد أن الحاجة ماسة أشد مساس إليها .

الدكتور عبد الرؤوف حسن
وكيل مصحة فؤاد بحلوان

الدكتور رينيم برنار
مدير مصحة فؤاد بحلوان

الملحق الأول

الرسالة التي قدمها مندوباً مصر إلى المؤتمر

بجلسة ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٢٨

وموضوعها

مروءة كفاف السل في مصر والصعاب التي تعترضه (في الريف والحضر)

للككتور ريفيم برنام

مدير مصلحة فؤاد بحلوان

والدكتور عبد الرؤوف حسن

وكيل مصلحة فؤاد بحلوان

ما يزال كفاف السل في مصر في بدايته ، إذ في سنة ١٩٠٢ كون لفيف من
أطباء جماعة لمكافحة السل في مصر تتألف من لجنتين إحداهما بالقاهرة
الأخرى بالاسكندرية .

ونظراً لأسباب متعددة أهمها ظروف الحرب العالمية لم تستطع لجنة القاهرة
متابعة عملها . إلا أن جماعة الاسكندرية استطاعت على النقيض من ذلك أن
قوم بعملها بإنشاء مستوصفين . وبمتابعة حملة تبشيرية بين طبقات الشعب
أفراد الجاليات الأجنبية في الاسكندرية .

وقد بلغ عدد العيادات التي قامت بها هذه اللجنة من سنة ١٩٠٣ إلى سنة
١٩٢١ نحواً من ١٥٠.٠٠٠ عيادة و ١٠.٠٠٠ زيارة منزلية .

ومن دواعي الأسف أن مشكلة إيجاد معهد أو مصلحة لعلاج مرضى السل
بالاسكندرية لم تجد حلاً بعد ، ولم تول قيد البحث .

وفي سنة ١٩٢٦ حققت الحكومة المصرية الرغبة السنية التي أبدأها حضر صاحب الجلالة الملك فؤاد فبدأت كفاح السل في مصر وبالأخص في منطقة القاهرة بأن أنشأت وزارة الاوقاف المصرية معهداً لمكافحة السل في مصر هو مصحة فؤاد بحلوان الحمامات .

وقد عالجت هذه المصحة في السنتين الأوليين من إنشائها ما يربو على ١٠٠ مريضاً ومريضة . وكانت النتائج العلاجية فيها موازية لأحسن النتائج في مصحات أوروبا . والوزارة جادة في درس مشروع إنشاء مستوصفات للدرن في الأحياء الآهلة بالقاهرة .

وإذا كنا نشترك اليوم في هذه المناقشة فذلك لأن إسعاف مرضى السل في أرياف مصر مشكلة تستوجب الحل السريع .

وليس غرضنا هنا أن نورد نتائجنا، فنحن لا نزال في بداية عملنا، بل كل نرمى إليه هو أن نعدد الصعاب التي تعترض كفاح السل في مصر ، باسطنبول آراءنا الخاصة في أصوب طريقة لحل هذه المشكلة الاجتماعية .

بالقطر المصري ثلاث مدن فقط يبلغ عدد سكان كل منها أكثر من مائة ألف نفس . أما باقي مجاميع السكان فإنها من حيث نظامها الصحي ليست إلا مدناً صغيرة وقرى . ويبلغ عدد سكان مدن القطر المصري (مدنه وبنادره أقل من أربعة ملايين نسمة من مجموع سكان القطر المصري الذي يبلغ ١٥ مليون أي إن عدد سكان الريف في مصر يقرب من ثلاثة أرباع السكان .

ولذا يتسالم المرء كيف يجب أن تواجه مشكلة كفاح السل في بلد كهذا أما الإحصائيات التي يستدل منها على مبلغ الوفيات بالسل وعدد الإصابات به فهي لا تزال في الوقت الحاضر جزئية غير وافية .

إلا أن الإحصائيات التي استطعنا جمعها في الوقت الحاضر تدل على أن عدد وفيات السل في مصر سنوياً يربو بلا شك على عشرين ألفاً سنوياً .
ولذا فإن عدد إصابات السل في مصر يقدر بنحو ٢٠٠.٠٠٠ (مائتي ألف) حالة سل على أقل تقدير .

ونحن نعتقد بعد إجراء تصحيحات لا بد منها للإحصائيات الرسمية أن عدد وفيات السل في أرياف مصر تبلغ ١٠.٠٠٠ (عشرة آلاف) وفاة سنوياً يقابلها ١٠.٠٠٠ (عشرة آلاف) وفاة بالسل في المدن سنوياً . فإذا لم يكن السل في أرياف مصر يوازي في انتشاره الحال في أوروبا فإن خطره لا ينكر ، ويجب أن يضعه ولاية الأمور الصحية في مصر موضع العناية ويضموه إلى قائمة الإصلاحات الصحية الواجب القيام بها في مصر .

وبهذه المناسبة نرى أن نذكر باختصار سبب قلة انتشار السل في أرياف مصر ، إذ يرجع ذلك على ما نرى إلى عاملين أساسيين يمكن تلخيصهما في كلمة واحدة وهي الجو . فان جو مصر الواقع يحدث تأثيره بطريقتين : —

(١) أن أشعة الشمس في مصر (وتبلغ ٨٢٪ من النهاية العظمى) وجفاف الجو يعملان على تطهير الإفرازات المعدية التي تحوى باشلس السل في وقت أسرع منه في البلاد الأخرى التي لا تبلغ فيها أشعة الشمس هذا المبلغ .

(٢) ان اعتدال الجو يسمح للفلاح المصري بقضاء معظم وقته خارج مسكنه في الهواء الطلق ، وهذه العادة لها تأثير واثق على مخالطة حالات السل ، كما أنها تمهد سبيل التهوية لكثير من الأشخاص المصابين بالسل الرئوي أو المعرضين للإصابة به . غير أن هذه العوامل محدودة الأثر إذ متى حصلت إصابة سل في عائلة ريفية فإن الجهل بالمبادئ الصحية والوسط غير الصحي يمكن عدوى السل من إحداث

أضرارها الجسيمة بانتشارها إلى المخالطين .

ولدرء خطر امتداد عدوى السل في الأرياف نود أن نبسط هنا :-

(أولا) الأعمال التي تمت إلى الآن .

(ثانياً) ما نشير بعمله وما نعتقده في حيز الإمكان .

(أولا) الأعمال التي تمت إلى الآن :

لقد تم افتتاح مصحة فؤاد . وأعلن عن هذا الافتتاح في الجرائد المحلية وسرعان ما انتشرت سمعتها وعرفها الجمهور ، وتقاطر إليها المرضى حتى اضطررنا كثرة الطلبات إلى أن نفتتح في نفس المصحة عيادة خارجية مجانية تقوم بعمل المستوصف انتظاراً لافتتاح هذا المستوصف الذي لا بد منه .

وفي هذه العيادة تعطى للمرضى الكثيرين الذين يتقدمون للكشف عليهم التعليمات اللازمة بعد فحصهم وتشخيص حالتهم .

والمرضى الفقراء على جانب عظيم من الذكاء يريدون رغبة أكيدة في اتباع النصائح التي تلقى إليهم . ولذا فنحن نعتقد أن الأصول الصحية التي يتلقاها المرضى أثناء إقامتهم بالمصحة أو التي يتلقونها في هذه العيادات المجانية ليست ضائعة هباء ، بل هي في طريق الانتشار التدريجي بين طبقات الشعب .

(ثانياً) وهنا نستطيع أن نتساءل عن الطرق التي يمكن بها محاربة عدوى السل بين طبقات الشعب في الأرياف .

إلا أن الصعاب التي نلقاها في هذا السبيل أهمها :-

(١) كثرة عدد الفلاحين الأميين الذين لا يستطيعون القراءة ، وذلك مما يجعل الدعاية بالنشرات المطبوعة وغيرها مما لا يمكن استخدامه .

(ب) قلة عدد الأطباء الذين لهم خبرة كافية بمرض السل في القرى أو المدن الصغيرة .

(ج) تفرق الناس في مجاميع غير كبيرة .

(د) قلة عدد الأسرة المخصصة لعلاج مرضى السل في مصر .
ولتذليل هذه الصعاب نقترح الحلول الآتية :-

(أولاً) تعليم المبادئ الصحية ضد السل في المدارس إذ التعليم الإلزامي

في القطر المصري في طريق التنظيم ولن تمضى حوالى عشرين سنة إلا والتعليم
قد شمل جميع طبقات الشعب .

(ثانياً) إيجاد دراسة خاصة لمرض السل في كلية الطب بالقاهرة وفي مصحة
قواد بحلوان حيث تعطى الفرصة لتدريب عدد من الأطباء الشبان ومن طلبة
الطب في سنتهم النهائية .

(ثالثاً) اقتراح مستوصفات للدرن في مدن القطر المهمة وفي القرى الكبيرة
التي تعقد فيها أسواق أسبوعية .

وما يبعث على الارتياح في هذا الصدد أن عيادة المرضى بالسل ستسهل إلى
حد كبير متى تم تنفيذ المشروع الذي اعتمدته الحكومة المصرية مؤخرًا وهو
افتتاح ١٥٠ (مائة وخمسين) مستشفى في البنادر والقرى الكبيرة على أن يتم
تنفيذ ذلك تدريجياً في ظرف بضع سنوات ، فإن هذه المستشفيات سيكون من
عملها القيام بعمل عيادات خارجية في مختلف الأمراض على أن يكون بكل
منها بضعة أسرة للحالات الاضطرارية . إلا أنه من غير المتيسر علاج مرضى
السل القابلين للشفاء قبل إنشاء مصحات جديدة لهذا الغرض .

وانتظاراً لتنفيذ هذا المشروع ولأن عمل هذه المستشفيات سيكون محدوداً في كفاح السل نعتقد أن خير ما نشير به في الوقت الحاضر هو تعميم ما أنشأته مصلحة الصحة العمومية من عيادات ومعامل متنقلة لمحاربة الأمراض الطفيلية وأمراض الأطفال والعيون والأمراض السرية التي يرجع الفضل فيها إلى حضرة صاحب السعادة الدكتور محمد شاهين باشا .

ويوجد من هذه العيادات عدد متنقل في أنحاء القطر يقوم بعمل التحاليل لاكتشاف عدوى الانكلستوما والبلهارسيا كما تعرض أشرطة سينمائية وتلقى محاضرات في الصحة العامة . ولذا يمكن إنشاء عيادات على هذا المنوال لمكافحة السل بأن يعلن عن يوم محدد في إحدى القرى حيث يعرض الذين يشكون من السعال أنفسهم للفحص ، فيحلب بصاقهم ، فمن يوجد منهم مريضاً تعطى له النصائح اللازمة للوقاية أو تعطى له على الفور مبصقة لاستعمالها أو تعليمات تمكنه من منع عدواه لغيره .

الامضاء

الامضاء

الدكتور عبد الرؤوف حسن

الدكتور رفيع برنادر

حاشية : لهذا التقرير ملحق ثان عن « أسس كفاح السل في مصر » وهو رسالة لم يتسع المجال لاثباتها هنا لطولها ، وقد نشرت بالمجلة الطبية المصرية عدد نوفمبر سنة ١٩٢٩ ، وهذه التقارير في مجموعها تؤرخ بكفاح السل في مصر على أسس علمية تماشى نهضة كفاحه في الأمم الأوروبية .

القسم الثانى

عهد وزارة الصحة - الادارة المصرية
(من مايو سنة ١٩٣٢ إلى أكتوبر سنة ١٩٤٦)

١ - تمهيد

فى سنة ١٩٣٢ بمناسبة الضائقة المالية ، رأت وزارة الأوقاف أن تتخفف من التزاماتها المالية ، فوافقت على أن تقوم مصلحة الصحة بالإشراف على مصحة فؤاد ، وأن تضمها إلى وحداتها على أن تتولى مصلحة الصحة الإنفاق عليها .
وقد تم هذا النقل رسمياً فى مايو سنة ١٩٣٢ فى أواخر عهد جناب الدكتور زيمرلى ، ورأى المغفور له حضرة صاحب السعادة الدكتور محمد شاهين باشا أن تكون المصلحة تحت إشرافه شخصياً ، فلم تُضم إلى قسم معين من أقسام المصلحة . وظلت المصلحة تتبع مكتب سعاده مباشرة إلى سنة ١٩٣٤ ، حين قرر أن تُضم إلى قسم الأمراض المتوطنة ، الذى كان يتولاه فى ذلك الحين جناب الدكتور « ووكر تومب » .

وهذه الفترة التى أشير إليها مليئة بالذكريات حلوها ومرها ، ولا مفر من عرض بعضها على الأقل لتسجيل بأمانة فترة حاسمة فى حياة المصلحة ، ففيها تقرر حصر إدارة المصلحة ، إذ عُهد بها إلى مصرى ، يسعده اليوم أن يستعيد ذكريات هذه الأيام ، ليقضى ما فى عنقه من دين أدبى وعرفان بالجميل لمن وثقوا به ، فأسندوا إليه منصباً كان مفهوماً أن للأجنى فيه امتيازاً على المصرى .

٢ - فترة انتقال - تمصير الادارة

كان جناب الدكتور زيمرلى يوشك أن يسافر في يونيه سنة ١٩٣٢ بإجازة الصيفية بعد انتقال المصلحة إلى إشراف مصلحة الصحة في مايو ، وسافر جناب فعلا وتركني أنوب عنه في إدارة المصلحة أثناء الصيف ، وكان عقد استخد جنابه ينتهى في ديسمبر التالى .

فقضيت الصيف أعد تقريراً ضافياً عن المصلحة ، ضمنته دراسة كاملة لموضوع تنظيمها ، ورفعته إلى حضرة صاحب السعادة المرحوم الدكتور محمد شاهين باشا ودرس سعادته التقرير ، واستدعانى ليبدى ارتياحه إلى ما ورد في التقرير من مقترحات ، وليقول لى صراحة : « بالرغم من اعتبارى إياك مدير المصلحة فى المستقبل فقد رأيت أن أجدد عقد المدير السويسرى ، وأنت لا تزال فى مقتبل العمر ولا أظنك تمانع فى أن تظل فى منصب وكيل المصلحة فترة أخرى » .

فكان جوابى كما أذكره جيداً الآن : « مادمت أعمل فى مصلحة فؤاد التى وهب لها حياتى ، فسواء لى أن أكون وكيلاً أو مديراً ، والرأى لسعادتك ، حسب أن أخدم مهنتى وبلادى » .

وانصرفت موقفاً أن أمامى ثلاث سنوات أخرى ، أعمل فيها جندياً الصفوف .

وإنى لأعترف صراحة بأن هذا القرار أثار فى نفسى مرارة ، وصدمنى صدمة عنيفة فى آمالى ، ولكنى استنجدت كعادتى فى الأزمات بعقلية الشاعر ، ورضخه للأمر الواقع ، والتمست العزاء فى عملى بالمصلحة .

وعاد جناب الدكتور زيمرلى فى سبتمبر ، وتابع عمله إلى أواخر ديسمبر

ولكنه في آخر لحظة آثر أن يتخلى عن منصبه مختاراً ، بعد أن كان مزعماً تجديد عقده ثلاث سنوات أخرى ، لخلاف في الرأي بينه وبين حضرة صاحب السعادة الدكتور محمد شاهين باشا .

وخلا منصب مدير المصححة ، وكان من واجبي أن أتولى إدارة المصححة حتى يعين لها مدير سويسرى ثالث ، ففعلت .

وكنْتُ أعلم أن مكاتبات رسمية أرسلت إلى ممثل مصر بسويسرا للبحث عن مدير للمصححة ، فقدّرت أن المدير السويسرى الجديد يجب أن يتسلم منى مصححة لا نخجل كمصريين من انتسابها إلينا .

ومن حسن حظي أن كان اتصالى فى شؤون المصححة مباشراً مع حضرة صاحب السعادة المرحوم الدكتور محمد شاهين باشا . وكان سعادته بالغ الاهتمام بأمرها ، مما أتاح لى فرصاً عديدة للقاء سعادته ورفع تقاريرى إليه دون وساطة ...

ومر عام ١٩٣٣ وجانبٌ من عام ١٩٣٤ دون أن يتم اختيار المدير الجديد ، وعملت جاهداً خلال هذه الفترة على زيادة عدد أسرة المصححة ، بإعداد الدور الأعلى من الجناح الشرقى لقبول المرضى ، فارتفع عدد أسرتها من ٢٨٨ سريراً إلى ٤٠٠ ؛ واستخدمت لهذا الغرض ما كان مكدساً فى مخازن المصححة من أثاث ومهمات من عهد وزارة الاوقاف ، وعرضت الامر على حضرة صاحب السعادة الدكتور محمد شاهين باشا فأبدى سروره ورضاه .

وفى اليوم التالى — ٣٠ / ٥ / ١٩٣٤ — خاطبنى حضرة الأستاذ محمد خفاجى ، مدير مكتب سعادة الباشا ، ليبلغنى أنه صدر قرار بإسناد منصب مدير المصححة الى . وكانت مفاجأة تامة لم تسبقها أية مقدمات . فقد كنتُ قد وطنت النفس نهائياً على قبول الوضع الذى حتمته الظروف ، فاذا بى أمام إنصاف قد فقدت الأمل فيه ، وتقدير كريم كنت قد يئست نهائياً منه ...

وذهبت في اليوم التالي لأشكر سعادة الباشا على ما أولانيه من ثقة ، فكان جوابه : « هذا حقك رددته إليك وأنت أهل له .. »
وقد يعجزني أن أصور مبلغ عمق شعوري نحو هذا الرجل الكريم الذي أدين له بفضل لا يُنسى . فقد مَصّر منصب مدير أول مصلحة مصرية ، ووثق بشبابي الذي كان أكبر عقبة في سبيل إنصافي ، هذا الانصاف الأدبي الذي تطلّعتُ إليه طموحاً كريماً ، واعتزازاً بمصريتي ، لا ارتقاباً لغنم مادي ، كانت اللوائح المالية تحول بيني وبينه ...

ولقد افتتحت المصلحة صفحة جديدة من حياتها منذ أول يونية سنة ١٩٢٤ حين ألحقت بقسم الأمراض المتوطنة كوحدة من وحداته المتعددة .
وُعدَّ هذا القرار نقطة تحول خطير في حياتها ، إذ بعد أن كانت معهداً فريد النوع يحتفظ بطابعه الخاص ، ويستقل بجهوده في ميدان معين ، تابع السير تحت لواء المشرفين على الصحة العامة في مصر ، واتخذ مكانه الطبيعي كوحدة علاجية لأمراض الصدر في مصر ، تتعاون مع المستوصفات التي كانت مصلحة الصحة قد بدأت في إنشائها منذ سنة ١٩٢٩ ، إذ تتولى المصلحة الناحية العلاجية ، وتقوم المستوصفات بالناحية الوقائية من كفاح السل في مصر .

٣ — إيضاح واجب

لقد توليتُ إدارة مصلحة فؤاد الأول منذ أول يناير سنة ١٩٣٣ إلى الآن قرابة أربعة عشر عاماً ، وشهدتُ مولدها ، وراقبت نشأتها ، ومزجت حياتي بحياتها ، واستطعت أن أجد مبرراً كافياً للحديث عنها قبل أن أتولى إدارتها ، تسجيلاً للحوادث والذكريات التي كادت تنسى ، وإقراراً بفضل من سبقوني في الإشراف عليها ، واعترافاً بجميل من قرر أن أتولى إدارتها رغم أني لم أكن بعد قد خلع على الشيب مهابته وجلاله ...

أما وقد بلغت من رواية القصة إلى هذا المدى ، فمن واجبي أن أعترف صراحة أنني آخر من يحق له أن يتحدث عن المصلحة في العهد الذي توليت فيه إدارتها لا اعتبارات واضحة مفهومة .

حسبي أن أقدر مطمئناً أنني حرصت على أن أؤدي واجبي جهد ما استطعت ، وأن أساير بمعاونة زملائي المصريين النهضة العلمية الغربية ، وأن تكون المصلحة سبباً إلى استخدام أحدث وسائل العلاج ، بحيث احتفظت دائماً بمكانها الملحوظ بين المعاهد المماثلة لها ، وبشهرتها التي لا تزال تنعم بها بحمد الله في الشرق العربي وفي أوروبا .

ولقد صرّح الدكتور ماكدوجال ، — (رئيس المجلس البريطاني ومندوب هيئة الأمم المتحدة لكفاح السل في البلقان) — حين زار المصلحة ووقف على مدى نشاطها الفنى في سنة ١٩٤٥ بما يلي :

« أدهشني أن أرى في مصر هذا التقدم الرائع في تشخيص وعلاج أمراض الصدر ، فليس لدينا ما نعلمه لكم ، بل الواقع أن عندكم ما يصح أن نأخذه عنكم . وفي خطاب التقديم المنشور في صدر هذه الرسالة شهادة من جناب الدكتور برناند مدير المصلحة الأسبق ليس لنا أن نعلق عليها ، ولكننا نكتفي بأن نشير إلى أن مضى هذه الفترة الطويلة التي انقضت منذ انقطعت صلته بالمصلحة ، وما عُرف عن الرجل من دقة في التعبير ، وصدق في التصوير يجعلان لشهادته وزناً خاصاً .

وإن اعتدادي بمصريتي الصميمة ، واعتزازي بالسمعة الطيبة التي اكتسبتها المصلحة منذ إنشائها إلى الآن ، كلاهما يجعلني في حل من أن لا أقنع بأقوال الغير أسوقها للتدليل على مبلغ جهود المصلحة ومدى نشاطها ، بل يسعدني اليوم أن أقدم شيئاً آخر ، احتفظت به لأعلنه في هذه المناسبة السعيدة لأول مرة .

٤ — عملية تفريغ الكهوف الرئوية

(Endo - Cavitory Aspiration - Monaldi's Operation.)

خلال سنوات الحرب الأخيرة ، ابتكر أحد أطباء روما — الدكتور موناڤلى — عملية جديدة لعلاج الكهوف الرئوية .

فلقد كانت الكهوف الرئوية التى يُخفق فى علاجها الاسترواح الصدرى تعالج بعملية جراحية خطيرة ، تقتضى قص الاضلاع وتشويه الصدر ، أما الطريقة الجديدة فليست أكثر من إدخال قسطرة صغيرة داخل الكهف بجهاز خاص ، يدخل بين ضلعين من ثقب صغير فى الجلد . وأحد طرفى القسطرة يترك داخل الكهف ، أما الطرف الآخر فيوصل الى جهاز يسحب الافرازات والهواء من الكهف حتى يندمل وحده ويزول دون أى عمل جراحى آخر . وبعد انتزاع القسطرة واندمال الجرح الصغير الذى كانت قد أدخلت فيه يظل صدر المريض كما هو دون أى تشويه واضح ، كما يحدث بعد عملية قص الأضلاع .

ولم تصل إلينا بسبب الحرب - أية معلومات مفصلة عن طريقة إجراء العملية وفى يونية سنة ١٩٤٥ ، زار الدكتور موريس مندس (Dr. M. Mendès) المصححة زيارة قصيرة عابرة - وقد كان جنابه مساعداً للدكتور موناڤلى فى روما سنة ١٩٣٩ ، ثم سافر الى سويسرا بعد ذلك ، وأجرى العملية الحديثة لبعض المرضى هناك بطريقة موناڤلى وجهازه الخاص .

ولقد شرح لنا الدكتور مندس « شفويا طريقة العملية ، وسمح لنا أن نصنع جهازاً مماثلاً للجهاز المستعمل فى أوروبا .

وكان علينا أن نعتمد على مجهودنا ووسائلنا الخاصة ، لنجعل هذه العملية الحديثة فى متناول مرضانا لأول مرة فى مصر .

وقد أجرينا العملية إلى الآن لسته عشر من المرضى بطريقة مُبتكرة

بعد بحث مصرى صميم ، له طابعه الخاص فى وسائله وأجهزته ، التى قمنا بتصميم
فكرتها وصنعها أيدٍ مصرية .

ونحن نكتفى فى هذه الرسالة التذكارية بهذا التسجيل وحده ، دون أن
نتجاوز ما تحتمه علينا واجبات المهنة من التزام حدود معينة عند طرق هذه
الموضوعات الفنية .

وفى ملحق للرسالة نشرنا بعض صور قليلة عن هذه العملية لا تحتاج
منا إلى تعليق .

ولعلى بما أسلفتُ قد بلغت المدى الذى يحمل بى أن أقف عنده ، ولكنى
فى سبيل إتمام القصة التى بدأتها ، أسمح لنفسى فقط أن أسجل بعض ملاحظات
موجزة استخلصتها من التقارير الرسمية لوزارة الصحة ، تصور تطور المصلحة
وأطراد نموها تحت إشراف مصلحة الصحة ثم وزارة الصحة فيما بعد .

٥ — نمو المصلحة التدريجى فى عهد وزارة الصحة

فى مايو سنة ١٩٣٢ ، حين انتقلت المصلحة إلى إشراف مصلحة الصحة ، كان
بها ٢٠٠ مريض ومريضة . وقد زيد عدد أسرة المصلحة إلى ٤٠٠ سرير فى
سنة ١٩٣٤ .

وكان المزمع فى ذلك الحين أن تزداد سعتها إلى ألف سرير ، وذلك بإضافة
مبان جديدة فى الفراغ الفسيح الذى يحيط بالمصلحة .

(نقلا عن تقرير مصلحة الصحة فى سنة ١٩٣٤)

وفى سنة ١٩٣٥ زيد عدد أسرتها إلى ٤٣٣ سريرا .

وفى سنة ١٩٣٦ أصبحت مصلحة الصحة وزارة ، وأنشئ قسم خاص

لأمراض الصدر، تولاه حضرة صاحب العزة الدكتور محمود سليمان أباطة بك،
وُضمت المصححة إليه وحدة علاجية من وحداته .

وفي سنة ١٩٣٨ زيد عدد أسرتها الى ٤٥٠ سريراً . وفي هذا العام وضع
حضرة صاحب العزة الدكتور أباطة بك مدير الأمراض الصدرية برنامجاً
شاملاً لمكافحة السل في مصر ، تبين منه اتجاه النية إلى انشاء وحدات علاجية
صغيرة بالمستوصفات بدل المصححات الكبيرة . ولهذا عدل نهائياً عن توسيع
المصححة أو إقامة منشآت إضافية بها .

وفي سنة ١٩٤١ زيد عدد أسرة المصححة الى ٤٧٠ سريراً .

وفي سنة ١٩٤٣ زيد عدد أسرة المصححة الى ٥٠٠ سرير .

وفي سنة ١٩٤٥ زيد عدد أسرة المصححة الى ٥١٤ سريراً .

ولم يعد بعد ذلك مجال للزيادة ، فقد استخدمنا كل ركن من أركان المصححة
لإيواء المرضى وتعذر إيجاد فراغ يتسع لسرير إضافي بعد ذلك .

وقد ظلت المصححة طوال العشرين عاماً ، غاصة بالمرضى ، يرتقبون دورهم
شهوراً قبل أن يخلو لهم فيها مكان .

٦ — بيان إحصائي عن حركة قبول المرضى بالمصحة
عاماً بعد عام

العام	المرضى الذين دخلوا المصحة هذا العام	
١٩٢٦	٥٤	من ٩ أكتوبر الى نهاية العام .
١٩٢٧	٣٦٤	
١٩٢٨	٣٦٩	
١٩٢٩	٤٤٤	١٢٣١ مريضاً ومريضة (الدكتور برناند)
١٩٣٠	٤٤٩	
١٩٣١	٥٣٥	١٥٨٤ (الدكتور زيمرلى)
١٩٣٢	٦٠٠	بدء عهد وزارة الصحة .
١٩٣٣	٦٩٨	
١٩٣٤	٨٨٧	
١٩٣٥	١١٧١	
١٩٣٦	١١٣١	
١٩٣٧	٨٣٢	المجموع ٩٠١١ مريضاً ومريضة
١٩٣٨	٩١٣	
١٩٣٩	١٠٥٢	
١٩٤٠	١٠٨٧	
١٩٤١	١٢٤٠	

العام	المرضى الذين دخلوا المصلحة خلال العام	
١٩٤٢	١٢٠٩	ما قبله ٩٠١١
١٩٤٣	١١٠٦	المجموع ٤٧٩٠
١٩٤٤	١١٢٩	المجموع الكلى ١٣٨٠١
١٩٤٥	١٣٤٦	مريضاً ومريضة

وقد بلغ الذين عولجوا بالمصلحة منذ إنشائها إلى الآن أكثر من سبعة عشر ألفاً من المرضى خلال العشرين عاماً الماضية، منهم حوالي ثلاثة آلاف في عهد وزارة الأوقاف وحوالي أربعة عشر ألفاً في عهد وزارة الصحة .

٧ - بيان إحصائي عن نفقات المصلحة وإيراداتها بين سنة ١٩٣٤ وسنة ١٩٤٥ (نقلا عن تقارير قسم الأمراض الصدرية)

العام	النفقات	الإيرادات	العام	النفقات	الإيرادات
	جنباً	جنباً		جنباً	جنباً
١٩٣٤	١٩٥٩٩	٥٩٣٨	١٩٤٠	٢٢٨١٩	٤٧١٨
١٩٣٥	١٧١٤١	٦٩٠٨	١٩٤١	٢٢٢٠٧	٦٢٢٣
١٩٣٦	٢٣٥٩٥	٨٠١٩	١٩٤٢	٢٤٦٥٧	٧٢٤٦
١٩٣٧	٢٤٧٦٦	٦٨١٧	١٩٤٣	٣١٣٦٧	٧٠١٩
١٩٣٨	٢٣٦٦٩	٥٧٨١	١٩٤٤	٤١٩١٠	٦٣٦٢
١٩٣٩	١٥٠٩٤	٤٩٧٨	١٩٤٥	٥٠٥٥٦	٦٦٨٤

٨ - نشاط المصححة العلمية والثقافية

فيما يلي بيان عما قام به أطباء المصححة من مجهود في هذا الميدان
(باللغة العربية)

(١) رسائل علمية وأبحاث :

(١) ١٩٢٨ الدكتور اسماعيل شكرى : ملاحظات على العلاج بالسانوكرزين
محاضرة أقيمت بالمصححة .

(٢) ١٩٢٨ الدكتور عبد الرؤوف حسن : عملية الصدر الهوائى الصناعى ، دواعيها
وتنتائجها : المجلة الطبية المصرية المجلد ١١ .

(٣) ١٩٢٨ " " " " " " : العلاج المصحى بجلوان : المجلة الطبية
المصرية المجلد ١١ .

(٤) ١٩٢٩ " " " " " " : أسس كفاح السل فى مصر : المجلة الطبية
المصرية المجلد ١٢ .

(٥) ١٩٣٠ " " " " " " : علاج الدرن بالمصحات : المجلة الطبية
المصرية المجلد ١٣ .

(٦) ١٩٣١ " " " " " " : مشكلة التدرن فى مصر :
رسالة نالت جائزة التفوق فى مسابقة

للجمعية الطبية المصرية .
المجلة الطبية المصرية المجلد ١٤ .

(٧) ١٩٣١ " " " " " " : استعراض كلىنىكى لحالات هامة :
المجلة الطبية المصرية المجلد ١٤ .

٩ — رسائل علمية صدرت عن المصحة باللغات الاجنبية

Publications in Foreign Languages

1. 1928. Dr. R. Burnand. "La Cure Sanatoriale à Helouan." Jr. Association Medicale Egyptienne, Vol. XI.
2. 1928. Dr. R. Burnand. "Premières expériences d'un phtisiologue en Egypte." Rev. de Phtisiologie, Tome IX, No. 1.
3. 1928. Dr. R. Burnand. "Traitement Sanatorial de la tuberculose en Egypte." Congrès Internat. du Caire, Tome V.
4. 1928. Dr. R. Burnand. "Sur le traitement du pyopneumothorax tuberculeux." Bulletins des Hôpitaux de Paris, No. 18.
5. 1929. Dr. R. Burnand. "Un cas de mort rapide après phrenicectomie chez un diabétique." Bulletins des Hôp. de Paris, No. 2.
6. 1929. Dr. R. Burnand. "Pneumothorax therapeutique mué en caverne pleuro-pulmonaire." Bulletins de Hôp. No. 6.
7. 1929. Dr. Burnand et A. Raouf Hassan. "Rapports des délégués Egyptiens relatifs à la Vime Conférence Internationale à Rome." Jr. Association Médicale Egyptienne, Vol. XII.
8. 1929. Dr. Burnand et A. Raouf Hassan. "La tuberculose et la lutte antituberculose en Egypte." Rev. de Phtisiologie, Tome X, No. 6.
9. 1932. Dr. E. Zimmerli. "Pneumolysis after Jacobeus." Jr. Egyptian Medical Association, Vol. XII
10. 1932. Dr. Zimmerli & Ismail Choucry. "Spontaneous Cures in Phthisis." Tubercle, May 1932.

11. 1928. A. Raouf Hassan. "Incidence of Tuberculosis Infection in Egypt. Some Problems Related to Antituberculosis Work." Congrès International de Méd. Tropicale du Caire, Tome V.
12. 1928. A. Raouf Hassan. "Climatology and Seasonal Frequency of Haemophytosis in Helwan." Loc. Cit. Tome V.
13. 1932. A. Raouf Hassan. "Clinical Review, Illustrating Sanatorial Treatment in Helwan." Jr. Egyptian Medical Association. XIV.
14. 1932. A. Raouf Hassan. "Treatment of Tuberculosis in Sanatoria." Loc. cit. Vol. XIII.
15. 1932. A. Raouf Hassan. "Tuberculosis in Egypt as a Public Health Problem." (Prize-winning paper in a competition.) Loc. cit. Vol. XV.
16. 1932. A. Raouf Hassan. "Tuberculosis and Diabetes (some clinical considerations)." Egyptian Medical Association.
17. 1932. A. Raouf Hassan. "Evolution of Medical Ideas about Tuberculosis through the Centuries." Egyptian Medical Association.
18. 1933. A. Raouf Hassan. "Phrenic Paralysis — Technic — Indications — Results." Egyptian Medical Association.
19. 1934. A. Raouf Hassan. "Oleothorax Treatment." Egyptian Medical Association.
20. 1934. A. Raouf Hassan. "Reorganisation of Fouad Sanatorium." (Detailed Report submitted to Antituberculosis Committee.) (D.P.H.).
21. 1940. A. Raouf Hassan. "Chest Wounds in War." Egyptian Medical Association.

١٠ - الاطباء الذين عملوا بالمصحة

خلال العشرين عاماً الاخيرة

إن استعراض أسماء حضرات الزملاء المصريين المشتغلين بعلاج أمراض الصدر الذين انتسبوا إلى المصحة في فترة من الفترات ، وساهمت المصحة في تكوينهم الفنى ، وما يشغلونه الآن من مراكز ، لا يخلو من طرافة تستوقف النظر . والمصحة في عيدها العشرين من حقها أن تزدهو بهم . فهم بلا جدال عماد المنشآت التى تتولى كفاح السل فى مصر . وأحدهم — حضرة الدكتور محمود العشرى - يشغل منصب مدير قسم الأمراض الصدرية بوزارة الصحة وهو الذى تنتظم المصحة بين وحداته المتزايدة .

ويسعدنى اليوم أن أحيى هؤلاء الزملاء الكرام باسم المصحة التى انتسبوا إليها خلال حياتهم العملية ، والتى تحتفظ لهم بأحب الذكريات .

الاسم تواريخ العمل بالمصحة الوظيفة التى يشغلها الآن
دكتور عبدالرؤف حسن ١٩٢٧-١٩٤٦ مدير المصحة الحالى .

• اسماعيل شكرى ١٩٢٧-١٩٣٧ طبيب أول مستوصف المبتديان بالقاهرة .

• محمود العشرى ١٩٢٧-١٩٣٧ مدير قسم الأمراض الصدرية .

• محمود شريف ١٩٢٨-١٩٤٦ وكيل مصحة فؤاد الحالى .

• عبد العزيز الشال ١٩٢٨-١٩٤٦ طبيب أول مصحة فؤاد .

• عرفان الأنصارى ١٩٣٠-١٩٣٢ يمارس المهنة حراً بادفينا .

• محمد كمال ١٩٣٠-١٩٣٢ توفى .

• محمد صبرى مرزوق ١٩٣٤-١٩٣٥ طبيب أول مستوصف دمنهور .

الامم	تواريخ العمل بالمصحة	الوظيفة التي يشغلها الآن
دكتور أحمد عبد العزيز	١٩٣٥-١٩٣٦	مدير مصحة كوم الشقافة وطبيب
		المستوصف بالاسكندرية.
عطوه ابراهيم منصور	١٩٣٥-١٩٣٧	طبيب أول مستوصف أسيوط.
عبد الرحمن أدهم	١٩٣٥-١٩٣٧	
	١٩٣٩-١٩٤٠	توفى.
سعد الدين حسن التاودي	١٩٣٥-١٩٣٧	إخصائى الأشعة بمصحة فؤاد.
		ومستشفى العباسية.
عبد اللطيف حسن	١٩٣٧-١٩٣٨	مدير مستشفى الأمراض
		الصدرية بالعباسية.
محمود السيد سالم	١٩٣٧	طبيب أول مستوصف الزقازيق.
على عزمى	١٩٣٧	طبيب أول مستوصف طنطا.
حسين كامل	١٩٣٦-١٩٣٧	طبيب أول مستشفى المحلة الكبرى.
على محمد زكى	١٩٣٦-١٩٣٨	طبيب أول مستوصف المنيا.
	١٩٤٣-١٩٤٢	
على عبد الرحمن سليمان	١٩٣٦-١٩٣٧	الخليفة بمصر.
محمد السيد عمر	١٩٣٧-١٩٣٨	طبيب مستشفى الحيات بامبابة.
يوسف جعفر	١٩٣٧-١٩٣٨	طبيب أول مستوصف دمياط.
فؤاد ويصا	١٩٣٧-١٩٤٠	مدير مصحة الجيزة القروية.
محمد السيد حسن شريف	١٩٣٨	طبيب أول مستوصف المنصورة.
الأنور أمين محمد	١٩٣٩	مدرس بكلية الطب بجامعة
		فؤاد الأول.
زكريا محمد خليفة	١٩٣٨-١٩٤٥	مدير مستعمرة الناقهين بالمرج.

الاسم	تواريخ العمل بالمصلحة	الوظيفة التي اشنها الآن
دكتور محمد بسيوني شلش	١٩٣٨-١٩٤٢	طبيب أول مستوصف شبين الكوم
مصطفى مصطفى الطويلة	١٩٣٨	توفي .
يوسف رشاد	١٩٣٨	طبيب بالبحرية الملكية المصرية
محمد طنطاوى مباشر	١٩٣٨-١٩٣٩ ١٩٤٠-١٩٤١	طبيب أول مستوصف الفيوم
متولى وهبه	١٩٣٨-١٩٣٩	توفي .
محمد عبد الحميد الفقى	١٩٣٩-١٩٤٢ ١٩٤٤-١٩٤٥	طبيب أول مستوصف أسوان (فى بعثة دراسية الآن)
زكريا محمد مسعود	١٩٣٩	الجراح الإخصائى بمستشفى الأمراض الصدرية بالعباسية
محمد نجيب جنينة	١٩٣٩-١٩٤١	وكيل مستشفى الأمراض الصدرية بالعباسية .
جورج عطوة	١٩٣٩-١٩٤٢	يمارس المهنة حراً بالقاهرة .
نجم الدين حافظ	١٩٣٩-١٩٤٥	طبيب مستوصف المبتديان (فى بعثة دراسية الآن)
طه عثمان أحمد دنيا	١٩٤٠	طبيب بمستشفى الأمراض الصدرية بالعباسية .
أحمد سعيد	١٩٤١-١٩٤٣	طبيب أول مستوصف قنا .
محمد شوكت بشر	١٩٤٢-١٩٤٣	طبيب أول مستوصف بورسعيد
عبد العظيم رفعت	١٩٤٢-١٩٤٤	طبيب أول مستوصف شربين
زكى حسين سامى	١٩٤٣	توفي .
فيليب غبريال	١٩٤٣-١٩٤٥	توفي .

الاسم	تواريخ العمل بالمصلحة	الوظيفة التي يشغلها الآن
دكتور محمد فؤاد خورشيد	١٩٤٣-١٩٤٥	طبيب أول مستوصف أسوان .
• ابراهيم عطية عيسى	١٩٤٤-١٩٤٦	طبيب بمستشفى المواساة بالاسكندرية .
• أمين احمد عبد ربّ النبي	١٩٤٤	طبيب بمستشفى الأمراض الصدرية بالعباسية .
• أحمد اسماعيل رزيقة	١٩٤٤-١٩٤٦	طبيب رمدي منتدب بالمصلحة .
• مهدي عبد الفتاح	١٩٤٥-١٩٤٦	طبيب رمدي بالجموعة الصحية بيولاقي .
• كميل أحمد فوزي	١٩٤٥-١٩٤٦	طبيب بمستشفى كوم الشقافة بالاسكندرية .
• محمود فتحى قداح	١٩٤٤-١٩٤٦	طبيب بمصلحة الجيزة القروية .
• سامي حبيب داوود	١٩٤٥-١٩٤٦	طبيب نائب بالمصلحة .
• بديع حلیم حلى	١٩٤٥-١٩٤٦	طبيب نائب بالمصلحة .
• محمد حمدى الدفراوى	١٩٤٦	طبيب امتياز بالمصلحة .
• حلى باسيلي بقطر	١٩٤٦	الجراح الإخصائى بالمصلحة .



١١ - المصححة بين مصر الجديدة وحلوان

لقد سقتُ الحديث في هذه الذكريات عن مصححة فؤاد الأول خلال عشرين عاما ، على نهج يسير من الرواية وسرد الوقائع .

وتأبى الحوادث إلا أن تجعل لقصة المصححة في حلوان ختاماً لا مناص من تسجيله هنا ، لأنه حَدَثٌ هام يتناول مصير المصححة ومستقبلها ، فلقد قرأتُ رأى ولاية الأمر في وزارة الصحة على نقل المصححة من مكانها الحالي بحلوان إلى المستشفى الحربى الأمريكى القريب من مصر الجديدة «المعسكر الأمريكى - هاكسْتِيبْ سابقاً» .

والمستشفى الجديد يتسع لأكثر من ألف سرير - أى ضعف سعة المصححة في الوقت الحاضر .

وهو يقع في منطقة صحراوية تبعد عن مصر الجديدة حوالى خمسة عشر كيلومترا إلى الشمال الشرقى ، بالقرب من الخط الحديدى الممتد إلى السويس ؛ ويتألف من سبعين بناء منفصلا من الأبنية الحربية المؤقتة ، روعى في هندستها البساطة التامة ؛ غير أن المعدات الفنية والطبية التى تركها الأمريكيون بالمستشفى قبل رحيلهم تبلغ المستوى الرفيع الذى عُرف عنهم عند اضطلاعهم بمثل هذه المشروعات .

وستحتفظ المصححة باسمها بعد نقلها إلى مكانها الجديد ، وستتابع أداء رسالتها الإنسانية ، مسترشدة بماضيها الحافل بالتجارب ، في هذه المنطقة الصحراوية التى اختارها لها ولاية الأمر في وزارة الصحة ، بادئة صفحة جديدة من الكفاح الذى أَلِفَتْهُ ودرجت عليه ، وتمرّست به طوال هذه الأعوام .

غير أن انقطاع الصلة المادية بين مصححة فؤاد الأول وحلوان بعد هذا الأمد الطويل من الجوار والتلازم ، خليق بأن يستوقفنا قليلا ، نلتمس العبرة

ونستوحي الخبرة ، ونرد الحقوق إلى أهلها ، قبل أن نمضي من حلوان إلى مصر الجديدة ، فيشغلنا العمل لمستقبل المصححة في مكانها الجديد عن الاستفادة العملية من خبرة المصححة في سنواتها العشرين التي قضتها في حلوان ، فتضيع جهود بذلت كان من حقها أن تسجل ، وتنسى دروس كان من الأجدي أن تستعاد وتستذكر ، ونحن في بلد « كل شيء فيه يُنسى بعد حين !! » .

ولقد أوحى إلينا مناسبة نقل المصححة من حلوان وجوب تناول مستقبل حلوان الصحي ، وأوجبت علينا أن نتناول هذا الموضوع البالغ الخطورة ، مدفوعين بإحساس وطني خالص ، إيماناً منا بأن التجاوز عن تسجيل رأينا الفني فيه ، يعد إهمالاً منا في أداء رسالتنا الطبية ، وتفريطاً في حق الوطن علينا . وانقطاع الصلة بين المصححة وحلوان يستبعد نهائياً العامل الشخصي ، ويجعل لآرائنا صبغة قومية بحتة ، وهدفاً إنسانياً صرفاً ، ودافعاً بريئاً من كل تحيز أو غرض .

وسنفرد القسم الأخير من هذه الرسالة للحديث عن مستقبل حلوان بعد نقل المصححة منها ، وسنتناول ما يتصل بذلك من اعتبارات صحية وآراء فنية ، نعرضها أداء للواجب ، وتقريراً للواقع ، وإرضاء للضمير ، لنضع تحت تصرف من يعينهم الأمر نتائج خبرة عشرين عاماً في العلاج المصححي في حلوان .

ولسنا نملك غير الرأي الفني بنديه ، والنصح الخالص نسديه ، خالصاً لوجه الله والوطن ، وخدمة لمدينة حلوان الحبيبة إلى قلوبنا ، العزيزة علينا ، وقد شهدت معنا ميلاد مشروع إنساني جليل ، ففكر فيه وأمر بتنفيذه ، ملك ألمعي نافذ البصيرة ، سبق بوحى العبقريّة خطى المشتغلين بالطب والصحة العامة منذ عشرين عاماً ، ذلكم هو المغفور له ، حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول هـشيم مصححة فؤاد الأول وراعيها ، طيب الله ثراه ، وجعل الجنة مثواه .

القسم الثالث

مستقبل مدينة حلوان الصحى فى الميزان

١ - أثر تبديل الهواء (الجو) فى علاج السل

ظل علاج الدرن بتبديل الهواء شائعاً خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر ، ثم بدأت نهضة إنشاء المصحات فى أوروبا بأن افتتح « الدكتور برهمر » أول مصحة فى العالم فى سنة ١٨٥٩ فى « جريز دورف » ، بالمانيا ، وتلاه « دكتور فالتر » فى « نورداخ » ، ثم « دكتور دتيلر » فى فلانكنشتين سنة ١٨٧٧ ، وتسابقت الأمم الاخرى بعد ذلك فى إنشاء المصحات .

وكان السبب اقون فى هذا الميدان يعلقون أهمية بالغة على وجود المصحات فى المناطق الجبلية الممتازة بهوائها الجاف المنعش .

إلا أن هذه الحدود الضيقة التى التزمها هؤلاء الرواد ، ما لبثت أن اتسع نطاقها على ضوء الخبرة وطول التجربة ، واستقر رأى المشتغلين بعلاج أمراض الصدر على فائدة الجو المعتدل الصحو ، الخالى من الرطوبة والأتربة وذرات الغبار والغازات الضارة ، فى علاج الأمراض الصدرية بوجه عام ، والسل الرئوى على الأخص .

ولا يوجد جو واحد يمكن اعتباره مثالياً يوافق جميع الأمراض وجميع مرضى الصدر ، فلذلك مريض من المرضى جو أكثر ملاءمة لحالته الخاصة ،

يحتاج في اختياره الى خبرة بطبائع البشر ، وعلم بأماكن الاستشفاء ومعرفة ، بحالة المرض . وهذه الخبرة لا تكتسب بغير الصبر والممارسة والمهارة .
غير أن هناك مناطق خاصة تستمتع بجو ممتاز حقاً ، أكسبها شهرة عالمية ، وجعلها قبلة المرضى ، وموضع ثقة الأطباء ، لما ثبت بالتجربة الطويلة من فائدة جوها للمرضى وتأثيره الشافى لأمراضهم .

ولقد حدث تحوّل خطير في علاج السل الرئوى خلال ربع القرن الأخير ؛ فالمصحات التى كانت تدرّج عادة في المناطق الجبلية ، كان العلاج بها يتركز على مدى استجابة المريض للراحة والتدرج في المشى والغذاء الجيد ، في جو صحى منعش تحت رقابة طبية . ولهذا كان علاج المرضى من السل الرئوى بالمصحات بطيئاً لا يستطيع تحديد مدته ، ولا إدراك مدى نجاحه ، لأن استعمال الأشعة في المصحات لفحص المرضى لم يكن قد بلغ ما بلغه اليوم من كمال ودقة .

غير أن عملية الاسترواح الصدرى (Artificial Pneumothorax) وماتلاهما من العمليات الجراحية الكثيرة التى تفرعت منها ، فتحت آفاقاً جديدة من البحث العلمى المنتج ، وأثمرت نتائج علاجية رائعة ، جعلت للجراحة في علاج السل الرئوى مكان الصدارة دون أدنى ريب ؛ واحتل الجو الصحى مكانة تتلو العلاج الجراحى في المرتبة ، وإن لم يفقد أهميته البالغة ؛ إذ أن العلاج الجراحى لا يصلح لجميع الحالات ، وحتى الحالات التى تعالج علاجاً ناجحاً بالجراحة ، تحتاج إلى فترة من الاستجمام والراحة ، واستكمال شفاء الجروح ، وامتصاص الإصابات الدرنية ، والتخلص نهائياً من آثار المرض ومضاعفاته الكثيرة في أنسجة الجسم وأعضائه المختلفة .

والاعتبار الأخير يجعل لصاحبة مشهورة بجوها الصحى الممتاز كحلوان ،

مكاننا ملحوظاً بين أما كن الاستشفاء والاستجهاام المعروفة في مصر ، بل وفي العالم أجمع ، وبين مدى الحاجة إلى توفير عدد كاف من الأسرة لعلاج مرضى السل الرئوى بالراحة في مصحات ومعاهد علاج تقام في جو صحى مناسب . وما دمننا بصدد تسجيل ذكريات عشرين عاما من العلاج المصحى في مصر ، فمن حق القارىء أن يسألنا : أين نحن من استكمال ما يعوز البلاد من الأسرة المخصصة لعلاج السل في مصر بعد كل هذه السنوات ؟

ومن واجبنا أن نقرر الواقع ، ونجيب على هذا السؤال بصراحة تامة . فليس في وسع أحد أن يجادل في أن عدد الأسرة المخصصة لعلاج السل في المعاهد الحكومية سيبطل إلى أمد بعيد قاصراً تماماً عن استيعاب ألوف المصدورين الذين يلتمسون العلاج بها فتضيق بهم ولا تقسع إلا لعدد محدود جداً منهم ، بحيث يظل المريض الصالح للعلاج منتظراً شهوراً إلى أن يحل دوره ، فتسوء حالته وتنفوت فرصة إنقاذه من مرضه ...

فعدد الذين يموتون بأمراض الصدر في مصر سنوياً لا يقل عن سبعين ألفاً ، منهم ثلاثون ألفاً على الأقل يموتون بالسل . وفي المعاهدة الحكومية التى تعنى بكفاح السل في الوقت الحاضر ألف ومائتان من الأسرة فقط ، فى حين تدعو الحاجة إلى عشرين ألفاً من الأسرة على أقل تقدير .

فالبنون شاسع والشقة بعيدة بين الموجود من هذه الأسرة فعلاً ، والحد الأدنى لما يجب توافره فى البلاد منها . ومن الانصاف أن أقرر أن ولاية الأمر فى وزارة الصحة يدركون هذه الحقائق إدراكاً تاماً ، ويعملون جاهدين على توفير أكبر عدد مستطاع من هذه الأسرة فى حدود الممكن المستطاع ، والجمهور من ناحيته لا يمل المطالبة والالحاح فى محاولة الاستفادة من الأسرة الموجودة

فعلا ، وهي كما نرى قاصرة قصورا واضحا وقليلة الى أبعد حد .
وإذا كانت البلاد خلال عشرين عاما قد أنشأت ألفا ومائتين من الأسيرة ،
فكم سيمضى من الزمن قبل أن يصبح عدد هذه الاسيرة عشرين ألفا أو ثلاثين
ألفا ؟؟ . سؤال خطير حقا ، سيظل بلا جواب أحقابا طويلة ..

إزاء هذه المشكلة الخطيرة التي تواجهها البلاد ، نشعر أنه من واجبنا الصريح
أن ندلى برأينا الفني فى هذا الموضوع ، ونعرض بعض الحلول على من يعينهم
الامر ، يقينا منا أن ولاية الامر سيعاودون معالجته كلما بدا لهم إنشاء وحدات
جديدة لعلاج مرضى الصدر فى مصر ، وقد يحدون فيما نسجله اليوم ما يستحق
التفكير والعناية فى المستقبل .

والاعتبارات التى قدمناها فيما سبق تبيح لنا أن نتنقل إلى النقطة التالية :

٢ — صلاحية جو حلوان لعلاج السيل الرئوى

إن مدينة حلوان ، تلك الضاحية الوادعة الهادئة ، التى احتضنت مصحة
فؤاد الأول عشرين عاما ، كانت أبر المناطق بصحة المرضى ، وأحناها على
صدورهم ، ولقد استرد الألوف منهم العافية فى جوها الرائع البديع ، وأيدت
خبرة المصحة الطويلة إيمان الجمهور بصلاح جوها لعلاج أمراض الصدر ،
وقد كان هذا الإيمان موجودا قبل إنشاء المصحة ، ولكنه كان يتركز على مجرد
السمع والتواتر والشهرة ، فأصبح اليوم يستقر على سند ثابت من التجربة
الطويلة والملاحظات الدقيقة والنتائج العلاجية الباهرة (١) .

(١) سبق لنا أن عالجنا هذا الموضوع فى رسالة علمية عنوانها " علاج الدرن بالمصحات — العلاج
المصحى بحلوان ، نشرت بالمجلة الطبية المصرية عدد يونية سنة ١٩٣٠ . ويستطيع القارىء أن يجد فيها من
التفصيلات مالا يتسع له المقام هنا .

وإني لأعيد هنا رأيا لجناب الدكتور برناند ، مدير المصلحة الأسبق ، في إحدى رسائله العلمية التي نُشرت في الخارج في ذلك الحين حيث قال :

« منذ زمان بعيد ونحن نبحث عن مكان للاستشفاء في أوروبا يصلح لعلاج أولئك المرضى الذين لا يستطيعون تحمل البرد ، بأن تتوافر فيه شروط الدفء المستمر والجفاف ودرجة الحرارة المنتظمة ، على أن يكون خالياً أيضاً من التقلبات المفاجئة والرطوبة وقت الأصيل . وإلى عهد قريب كان لزاما علينا أن نقر بالعجز عن العثور على مكان تتوفر فيه هذه الشروط في أوروبا .

أما حلوان ، فلا نزاع في توافر ذلك في جوها ، ولذا فإنها تضيف طرازاً جديداً إلى قائمة أمكنة الاستشفاء التي بين أيدينا ، إتماماً لما يعوزنا من هذه الأماكن . ونستطيع أن نؤكد أنه من الممكن عملياً علاج السسل في مصر بنجاح في أماكن مختارة وبالأخص بحلوان ، والنتائج العلاجية التي يحصل عليها المرء هناك — وكثيراً ما تكون سريعة ومدهشة — توازي من كل الوجوه ما يمكن الحصول عليه في أحسن أمكنة الاستشفاء في أوروبا ،

وفي وسعنا — على ضوء الخبرة الطويلة — أن نؤكد صحة ما ارتآه الدكتور برناند ، وصواب حكمه ، صحة تقديره ...

وإننا لنوقن بأن هذه القضية العلمية أصبحت من الواضح بحيث لم تعد في حاجة إلى الشرح أو الإيضاح ، فتستبقى لحوان الصدارة في علاج أمراض الصدر ، حتى بعد نقل المصلحة إلى مكانها الجديد ، ولن تنزع عقيدة المرضى في جوها الشافي ، وسيتوافدون إليها يلتمسون الصحة والعافية في ربوعها ؛ في فنادقها ومساكنها ، كل حسب اقتداره المالي ، وحسب ميوله الخاصة ، وسيترتب على ذلك قيام مشكلة صحية خطيرة ، يحسن بنا أن نبادر إلى مناقشتها وجلاء نواحيها ، تنويراً للأذهان .

٣ - خطر وجود مرضى السل في مراكز السياحة المشهورة

مصير حلوان بعد نقل المصححة منها .

إن شهرة حلوان كمشتى عالمي تتجه الآنظار إلى الإفادة من جوه البديع أمر مقرر معروف . وأسمح لنفسى كمواطن أن أتناول مصير حلوان من الناحية التي تمس اختصاصي ، بعرض الملاحظات التالية :

(أولا) مرضى السل الرئوي - كما أعرفهم - يتعلقون بأسباب الحياة ، ويكافحون مرضهم الخطير بشجاعة نادرة ، وصبر عجيب خلال سنوات طويلة ، ولا يتطرق اليأس إلى قلوبهم إلى آخر رفق من حياتهم ، ويدفعهم حب الحياة والتعلق بها إلى نوع من الأثرة . وهم في سبيل الاستشفاء لا يبالون غيرهم ، ولا يحفلون بالعقبات ، ويندسون بين الأصحاء ، ويتظاهرون بأنهم أصحاء يشكون من نزلة شعبية عادية أولا يشكون من شيء مطلقاً . وهم إذ يخفون حقيقة مرضهم عن يحوطونهم لا يتخذون أية احتياطات صحية تكفل إعدام الميكروبات التي يحتويها بصاقهم وإفرازاتهم ، فمثل هذه الاحتياطات الصحية يتعذر اتخاذها في أكثر منازل المرضى ، وهي معدومة الوجود في الفنادق والغرف المفروشة المعدة لسكنى الغرباء .

(ثانياً) يخطئ أبلغ الخطأ من يتوهم أن المسلول يجب أن يكون إنساناً هزيلاً نحيلاً يلح عليه السعال في كل حين ، ويبدو مرضه الخطير واضحاً على سمته

تلك صورة ارتسمت في أذهان الجماهير خطأ من رؤيتهم مرضى السل في أدوار الأحياء . فالمسلول العادي الخطر الذي ينقل المرض إلى الأصحاء ، إنسان عادي تماماً ، كثيراً ما يكون مظهره الخارجي خادعاً إلى أبعد حدود

التصور ، بل قد يبدو في الظاهر أتم عافية ، وأكثر نضارة ، وأثقل وزناً من كثيرين من الأصحاء .

وهناك ألوف من هؤلاء المرضى يلتمسون الاستشفاء حيث يستطيعون وحيث يريدون . وكثيرون من هؤلاء ستسمح لهم مواردهم المالية بارتياح حلوان والاستشفاء فيها حينما يريدون . فإذا حيل بينهم وبين الأمكنة المعدة لاستقبالهم وعلاجهم كمرضى ، سيقترحون فنادق حلوان ومنازلها ومساكنها المفروشة ، وسيخفون مرضهم عن حولهم ، وسيضطرون إضطراراً إلى إهمال التخلص من بصاقهم وإفرازاتهم بطريقة صحية وافية بالغرض ، مما يجعلهم خطراً صحياً أكيداً . وهذه الحقيقة التي نذكرها ، صورة من الواقع ، لا نظن أحداً يستطيع إنكارها . ونؤكد — على مسئوليتنا — أنه من المستحيل عملياً معالجتها بتجاهلها وتناسيها والتهوين من خطورتها البالغة . ونبادر إلى تقديم ما بين أيدينا من مراجع نلتمس على هداها حلاً للمشكلة التي ستواجهها حلوان في مستقبلها القريب .

* * *

بعد الحرب العالمية الأولى ، نشطت في فرنسا حركة إنشاء المصحات في الأماكن المشهورة بجوها الممتاز ، وقام صراع عنيف بين بلديات عدد من مراكز السياحة الشهيرة بفرنسا وبين المشرفين على إنشاء المصحات .

ووصل النزاع إلى المحاكم ، وعرض جمهور الأصحاء قضيته بأسانيد المعهودة المشهورة : تلويث الجو بميكروب السل ، وخطر العيش بالقرب من المصحات ، واختلاط الأصحاء مع المرضى في وسائل الانتقال ، والنفور من رؤية المرضى والنظر إلى أبنية المصحات ولو على بعد ، وأخيراً سوء السمعة التي تصيب مراكز

السياحة من مجرد وجود المصحات ، حتى ولو كانت عديمة الضرر صحياً ، لاستكمال نظامها من كل الوجوه .

وأعدّ القائمون بإنشاء المصحات دفاعهم ، وحشدوا وثائق علمية لا سبيل إلى الشك في صحة ما انطوت عليه من مبادئ تنقض تماماً حجج الفريق الآخر ، لأنها خلاصة آراء أساطين الطب في فرنسا ، وقرارات لجان حكومية أُلِّفت للفصل في قضايا من هذا النوع أثّرت في إمكانية متفرقة .

وأخيراً دُعِيَ من أعلام الطب في فرنسا - هو الدكتور لويس جينار (مدير مصحة بلينى الشهيرة) - لبحث هذا الموضوع وإبداء رأى فنيّ حاسم فيه . وفي سنة ١٩٢٨ نشر الدكتور جينار هذا البحث القيم^(١) ، وفيه استعراض كامل لجميع نواحي هذا الموضوع الذي يعرض لنا اليوم في مصر ، ويستحق منا شيئاً غير قليل من العناية والاهتمام .

غير أن نطاق هذه الذكريات المحدود لا يسمح لنا بغير إيراد ملخص وجيز جداً للنواحي التي تنسجم مع سياق الحديث الذي نحن بصدده ، إشاراً لما يقتضيه المقام من تركيز وإيجاز .

والنصوص التالية من بحث الدكتور جينار تستوقف النظر وتستحق التسجيل :—

(١) أصدرت أكاديمية الطب بفرنسا ، واللجنة الدائمة لكفاح السل القرار التالي : أى معهد لعلاج المسلولين يجب أن لا يعتبر من الأماكن

(١) Stations Climatiques pour Tuberculeux et Stations Touristiques - par Dr. L. Guinard. Revue de Phtisiologie 1928.

الضارة بالصحة ، إذ أنه لا يحدث أى ضرر للجيران ، بل بالعكس يعتبر وقاية لسكان المنطقة من انتشار السل .

(٢) فى مصحة فلكنشتين (بألمانيا) ومصحة ترودو (بأمريكا) ومستشفى برمتن (بانجلترا) خلال عشرين عاماً ، لم تحدث أية إصابات بالسل بين أطباء المصحات وعملها .

(٣) فى قرية جربرزدورف (بألمانيا) حيث أنشئت ثلاث مصحات خلال ثلاثين عاماً هبطت نسبة الوفيات بالسل بين سكان القرية إلى النصف .

(٤) فى (دافوس) بسويسرا - وهى قرية مكونة من عدد لا يحصى من المصحات ، هبطت نسبة الوفيات بالسل بين أهلها خلال عشر سنوات الى ١,٣ فى الالف ، فى حين بلغت نسبة الوفيات بالسل بين أهالى قرية « برجن » ٢,٠٨ فى الالف ، والأخيرة قرية مجاورة خالية تماماً من المصحات .

(٥) لا يوجد خطر مطلقاً من إنشاء مصحة فى أى منطقة صحية على السكان الأصحاء ، ولكن الخطر الأكيد الوجود هو تسرب المسولين الى مراكز السياحة ، يندسون بين الأصحاء دون رقابة أو رعاية صحية .

(٦) إننا نفهم وجهة نظر أولئك الذين يريدون أن يبعدوا المرضى من مراكز السياحة والرياضة ، ونعرف حججهم كلها ، ولا نريد أن نخاطب ضمائرهم وشعورهم الإنسانى الذى أباح لهم مطاردة المرضى وحرمانهم من التماس الشفاء ، ولكننا نستطيع أن ندلهم على خطأ مآدى قد وقعوا فيه ، حين فضّلوا غواية السياحة والرياضة على المرضى ... أى الفريقين أجدى مآدى ، طلاب اللهو

المتقلب الأهواء ، أم المرضى الأوفياء الذين تضطربهم ظروفهم الصحية إلى قضاء فترات طويلة فى المكان الذى اختاروه للاستشفاء ؟ ؟

(٧) من الخير للطرفين ، أن يكون لكل مركز من المراكز طابع خاص يميزه عن سواه . فإما مركز لعلاج المرضى بعيد عن المغريات ، وإما مكان للسياحة والرياضة لا يتسلسل إليه المرضى متسترين ينشرون العدوى في محيطهم ، دون رقابة أو وقاية صحية .

هذا هو المبدأ الذى نشير به كل عمل يجب الاسترشاد به فى حل هذه المنازعات التى لا سبيل الى حلها بغيره .

ويختتم « الدكتور جينار » بحثه بهذه الخلاصة ننقلها بنصها عنه ، حتى تحمل معها وزن رأيه ، وصدى خبرته الطويلة : (١)
« لهذه الأسباب نقرر ما يلى :

حق مرضى السل فى الاستفادة من الاجواء والمراكز التى اعتادوا ارتيادها — والتي ثبتت فائدتها العلاجية لهم ثبوتاً قاطعاً — حق طبيعى مقرر واجب الاحترام ، ويتحتم أن يظل مقدماً على كل اعتبار سواه .

ولكى نوفق بين وجهات النظر المتعارضة نوصى بما يأتى :

(أولاً) يجب التفريق بين أما كن السياحة وبين مراكز علاج مرضى السل ، والعمل على احتفاظ كل منها بطابعه الخاص ، كلما أمكن ذلك .

(ثانياً) يجب حماية أما كن السياحة ضد غزو المرضى الظاهر أو المستتر ، وتتخذ الوسائل الكفيلة بعدم تطورها الى مراكز مختلطة أو مراكز لعلاج مرضى السل .

(ثالثاً) فى الاجواء الممتازة ، وبالأخص حول المصحات التامة التنظيم ،

(١) تراجع الصفحات ٣٠٤ و ٣٠٥ من المجلد الذى أشرنا اليه فيما سبق .

نشير بإنشاء وتحسين مراكز لعلاج المرضى، حيث يجدون البيئة الهادئة الضرورية
لمتابعة علاجهم كما ينبغي .

(رابعاً) في مراكز علاج مرضى السل، وفي أماكن السياحة المعرضة
لاختلاط المرضى والأصحاء بها، يتعين فرض رقابة صحية، واتخاذ الاحتياطات
الوقائية، والقيام بالتطهير اللازم، لوقاية السكان والغرباء من انتقال العدوى إليهم،
ونرى من المفيد إيراد نص ما يشير به «الدكتور لويس جينار» من
الاحتياطات الوقائية الواجب تطبيقها في مثل هذه الأحوال، فهي في رأينا
تستحق التسجيل، لأننا سنشير إليها فيما بعد حين نعرض لبحث مستقبل حلوان
من الوجهة الصحية .

يوصى الدكتور جينار بما يلي :

«توضع القرارات الإدارية التالية موضع التنفيذ والإلزام :

(١) يحرم تحريماً قاطعاً البصق على الأرض، في المساكن والحدائق
والطرق والسيارات العامة وعربات الترام أو قطارات السكة الحديدية الخ
(٢) يُلزم أصحاب الفنادق والمساكن المفروشة بإجراء تطهير كل غرفة
يشغلها ساكن بضعة أيام، سواء أكان مريضاً أم سليماً .

(٣) في كل الفنادق والبنيونات يجب تطهير أدوات المائدة (الاطباق
وغيرها) بغليها في الماء المضاف إليه قليل من الصودا .

(٤) تعيين مفتشين صحيين لمراقبة نظافة الفنادق «والبنيونات» والغرف
المؤجرة، وبالأخص الأماكن المرخص لها بقبول المرضى . وفي هذه الأماكن
يجب إلزام المرضى باستعمال مباحق الجيب، لضمان التخلص من البصاق
بطريقة صحية .

(٥) ولضمان تنفيذ هذه الاشتراطات الصحية يجب إنشاء مكتب صحى خاص،
ومركز تطهير فى كل مركز من هذا النوع، .
(انتهى مانقلناه عن رسالة الدكتور جينار .)

وعلى ضوء هذه الاعتبارات التى قدمناها ، يتقاضانا الوفاء لحلوان والبر بها
والرغبة الصادقة الأكيدة فى خدمتها ، أن نعرض مشروعا فكرنا فيه مليا ،
واستخلصناه من نتائج خبرتنا بعقلية مرضى السل ، وعلمنا بميولهم ونزعاتهم ،
وإدراكنا مبلغ حاجة البلاد إلى الاستزادة من الاماكن الواجب تخصيصها
لعلاج مرضى السل ، الذين تضيق بهم المصحات الحكومية ، أو الذين ألقوا جو
حلوان وأعتادوا قضاء الشتاء فيها .

٤ — مشروع تخصيص المنطقة الشرقية من حلوان

لإنشاء مركز علاجى للسل وغيره من الأمراض

إن المشروع الذى نعرضه اليوم — فى يقيننا — واضح الهدف ، ميسور
التنفيذ ، له صبغة عملية ، وله نظائر كثيرة فى بلاد الغرب ، ونعتقد مخلصين أنه
قد آن أوان الأخذ بالمبادئ العامة التى ينطوى عليها .

ونرجو القارئ الكريم الذى قرأ العنوان ، وشعر بأن من حقه أن يخالفنا
فيه ، أن يتمهل قليلا ليستمع إلينا إلى النهاية ، فما يضيره أن يستمع إلى حديث
أمرى . يعرض قضية إنسانية تدخل فى صميم عمله الفنى ، مجرد عرض ، ويترك
الأيام الحكم لها أو عليها . . .

ويتلخص المشروع فيما يلى :

(أولاً) تُقسَّم حلوان الحالية إلى منطقتين : إحداهما شرقية والأخرى غربية ، يفصلهما شارع عريض متسع يقع في مكان شريط السكة الحديدية الذي تخترق المدينة في الوقت الحاضر وعلى جانبيه ، على أن يمتد هذا الشارع في اتجاه قبلي إلى أن يجاوز مكان الحمامات الكبرى .

(ثانياً) المنطقة التي تقع شرقي هذا الشارع المتسع تحدها تلال المقطع من الشمال والشرق ، وموقعها إلى الجنوب والشرق من المنطقة الغربية التي تقع حول الينبوع الجديد . وهذه المنطقة هي التي نقترح تخصيص جزء منها للبرضى (١) ، بحيث يصبح هذا الجزء مع التطور التدريجي مركزاً علاجياً لأمراض الصدر وغيرها من الأمراض التي تحتاج إلى جو صحي جاف ، على غرار مئات المراكز العلاجية المشهورة في بلاد الغرب (١)

(ثالثاً) يكون امتداد حلوان العمراني إلى الغرب ، وتنشأ مدينة حديثة الطراز حول الينبوع الجديد إلى الغرب وإلى الشمال ، في أملاك الحكومة المتسعة الأرجاء . ومن الميسور نقل الحمامات الكبرى من مكانها الحالي إلى موقع مناسب قريب من هذه المدينة الناشئة ، وهذا النقل عمل هندسي يسير الحل تترك تفصيلاته للمختصين . وتكون المنطقة الواقعة حول الحمامات الكبرى في مكانها الجديد مخصصة لأمراض الكلى والأمراض الروماتيزمية وغيرها من الأمراض التي تصلح للعلاج بالحمامات الكبرى .

والذين يعرفون حلوان جيداً يوافقوننا على أن المنطقة التي نقترح تخصيصها محدودة الرقعة ، ولا تصلح للامتداد العمراني ، ولكنها تصلح تماماً لاستغلالها للأغراض الطبية التي أسلفنا الإشارة إليها .

(١) نقترح عرض هذا المشروع على لجنة مؤلفة من أطباء مختصين في الصحة العامة ومهندسين مختصين في تخطيط المدن لتحديد المنطقة التي تراها اللجنة صالحة لإنشاء نواة هذا المركز العلاجي في شرق حلوان .

ونقترح تطبيق المبادئ التالية في هذه المنطقة :

١ - يباح في المنطقة الشرقية إنشاء المستشفيات العامة والخاصة (كمستشفى للحميات) والمصحات (للسيل الرئوى والجراحي) ودور العلاج الحكومية وغير الحكومية ، على أن تكون جميع هذه المعاهد خاضعة للرقابة الصحية التى تتولاها وزارة الصحة ، وتوضع لها اللوائح الصحية والاشتراطات اللازمة التى تكفل ضمان استمرار الرقابة الصحية عليها من كل الوجوه .

٢ - لا يباح في هذه المنطقة إنشاء المدارس من أى نوع ، أو الفنادق أو المساكن المفروشة المعدة للأصحاء ، أو دور الملاهى أو الساحات الرياضية .

٣ - تطبق في هذه المنطقة الاحتياطات الصحية التى أشار بها جناب الدكتور لويس جينار ، وأوردناها فى الفصل السابق . . .

هذا هو الهيكل العام للمشروع ، وله مزاياه ومبرراته ودواعيه . فالمنطقة الشرقية من حلوان من أصح الأماكن الصالحة لإنشاء المصحات فى مصر ، فهى قريبة من القاهرة ، وسهلة المواصلات ، واستغلالها لاستشفاء المرضى عمل إقتصادى يدرّ ربحاً وفيراً ويوجد عملاً لعدد كبير من المواطنين ، وفائدة هذا المشروع لا تعود على المرضى وحدهم بل على الأصحاء أيضاً ، ففيه وقاية عملية لسكان المدينة الحديثة المقترح إنشاؤها فى المنطقة الغربية .

وقد سبق لنا أن أثبتنا فى الفصل السابق أن المناطق التى تنشأ فيها المصحات تهبط فيها الوفيات بالسيل بين السكان بدل أن تزيد . ومن سداد الرأى أن تخصص منطقة للرضى يقصدونها متطوعين طالباً للعلاج تحت رقابة صحية ، بدل تركهم يتسللون إلى المدينة الجديدة متسترين ينشرون العدوى دون رادع ولا وازع . وأود فى هذه المناسبة أن أخطب ضمائر الأصحاء فى صراحة قامة . هؤلاء

السعداء بما أفاء الله عليهم من صحة وعافية ، كيف يصح في شرعة الإنصاف أن يغالبوا المصدورين المنكوبين في صحتهم على منطقة صحية قام الدليل الحاسم على فائدتها في علاج أمراض الصدر ؟ ومن من الأصحاء أخذ على الأيام عهداً ألاّ تلجئه يوماً ما إلى التماس العلاج من مرض صدرى يصيبه أو يصيب أهله أو بنيه أو أقاربه ، أو أصدقاءه أو أحبائه ؟

كم أحب أن يصل صوتي إلى القلوب الرحيمة والضائير الحية والعقول الراجحة لتستمع إلى هذه القضية الإنسانية وتدبر ما فيها من منطق معقول مقبول ...

وإني لأعرف تماماً ما سيعترض به المعترضون على تنفيذ هذا المشروع ، وفي وسعي أن أؤكد لهم — تحت مسؤوليتي وفي حدود خبرتي — أن المشروع سليم الأسس تماماً من الناحيتين الصحية والاقتصادية . وكل الاعتراضات التي ستلقاه ترتكز على مخاوف نفسية وأوهام علقت خطأ بأذهان الجماهير ...

سيقول بعضهم جادا :

« ابحتوا للمسولين عن مكان سحيق في جوف الصحراء بعيداً عن العمران واعزلوهم فيه حتى لا نراهم في قطار حلوان ، فتقضى عيوننا بمرآهم ، وتعرض للعدوى من جراء اختلاطنا بهم أثناء الطريق !! »

وسيقول آخرون :

« إن اجتماع عدد كبير من المسولين في منطقة محدودة سيلوث الجو بالميكروبات ، وسيجعل العيش في جوارهم خطراً على الأصحاء !! »

وسيقول آخرون :

« إن تخصيص هذه المنطقة الشرقية للرضى سيخيف الأصحاء ، من قصاد حلوان في الشتاء ، فيقل الأقبال عليها ... »

وسيقول آخرون :

« إن رؤية المصحات ولو من بعيد يثير الأعصاب ويولد المخاوف ، وما يقوله هؤلاء الأطباء لتهدئة خواطرنا حديث خرافة ... »

وإلى هؤلاء جميعاً أقدم الحقائق التالية في إيجاز ، ليعرضوا مخاوفهم على ضوءها :

السل الرئوى أوسع الأمراض انتشاراً ، والمصابون به في مصر حوالى ربع مليون فى أدواره المختلفة ، ويستحيل استحالة تامة عزل المرضى به فى مكان سحيق حتى يشفوا أو يموتوا . وعدواه فى كل مكان ، يتعرض لها الأصحاء مراراً كل يوم فى الطرقات وعربات الترام ووسائل النقل الأخرى ودور الاجتماع العامة كالمساجد والكنائس والمطاعم والمقاهى ودور الملاهى ... وقد استطاع عزل عدد محدود جداً من المرضى الفقراء فى مكان سحيق ، أما ألوف المسلولين المستترين الذين سبق لنا أن أشرنا إليهم فلا سبيل إلى عزلهم مطلقاً . ومن حسن الحظ أن هذه العدوى المستمرة لا تسبب أعراض المرض إلا لعدد ضئيل من الأصحاء المستعدين للمرض تحت ظروف خاصة ، ولولا ذلك لاهلك السل سكان الكرة الأرضية فى بضعة سنين ...

والأجواء لا يلوثها ميكروب السل فى مراكز العلاج مطلقاً ، وأطباء المصحات وعمالها أقل الطوائف إصابة بالسل الرئوى والوفيات بالسل بينهم أقل من أية طائفة أخرى (يراجع ما ذكرناه عن هذا الموضوع فى الفصل السابق) وهما هى ذى وزارة الصحة تنشئ مستوصفات الأمراض الصدرية فى الأحياء الأهلة بالسكان حيث يتردد مئات المسلولين يومياً ، ولم يقل أحد إن الجو حول هذه المعاهد ملوث بميكروب السل ...

وفى الأجواء التى يغمرها ضوء الشمس باستمرار كجو حلوان يموت

ميكروب السل في بضع دقائق بحيث يصبح جوار المصحات مأموناً تماماً لا خوف منه على الأصحاء مطلقاً ...

أما ضعف الإقبال على حلوان بسبب وجود منطقة مخصصة للرضى بجوارها ، فإنني أسأل من يلودون بمثل هذا المنطق : أيجب أحكم أن يأوى إلى منزل توجد فيه حية رقطاع في صندوق محكم الإغلاق ، أم تؤثر أن تترك هذه الحية طليقة تختفي حيث شاءت ، فلا تقضى عيونكم بمرآها السكريه ، رغم شعورك الدائم بوجودها ؟؟

وعلى هؤلاء الذين يخشون ضعف الإقبال على حلوان الحديثة التي ندعو إلى إنشائها على الوجه الذي اقترحنه ، أن يهدأوا بالآ ، ففي بلاد الغرب مئات من هذه المراكز العلاجية المزدهرة التي نرجو أن يكون في مصر عشرات من مثيلاتها ، تجاورها مدن عامرة زاخرة بالحياة يقصدها مرتادوها دون خوف أو وجل . والرأى العام المصرى إذا استنار بتطور الزمن وانتشار الثقافة سبرى الحقائق ويؤمن بها ويسير على هداها دون أدنى ريب ...

أما أولئك الذين يتشاءمون من السل ولا يطيقون سماع اسمه أو رؤية معاهده ولو على بعد فلا حيلة لنا معهم ولا فائدة من محاولة إقناعهم بالمنطق أو بتقرير الحقائق العلمية الثابتة ، فهذه المحاولات من جانبنا جهد ضائع هباء ...
• إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ... •

ولقد عرضنا مشروعا وأوضحنا مزاياه ، وحاولنا أن نبذل بعض الأوهام الشائعة حول انتقال عدوى السل .

وإننا لرجو مخلصين أن لا يبطل اليوم الذى نرى فيه حلوان مزدهرة نامية ينعم الألوف بجوها الرائع البديع ، فقد استوفت في الماضى نصيباً غير عادل من الإغضاء والنسيان .

هـ — تعقيب وختام

لقد آن لى أن أختم هذه الصفحات كما بدأتها بأرق مشاعر الحنين لمصححة
فؤاد الأول ، ذلك المعهد الذى تتجاوب ذكرياته فى نفسى خلال السنوات
الطويلة التى قضيتها بين جدارنه ، فيمتلى قلبى إيماناً بالله ، واعتماداً عليه ، وبقيناً
ثابتاً بقدرته .

لقد شهدتُ هذه المصححة الناشئة تنمو وتزدهر وتتخطى العقبات وتذلّل
الصعاب بفضل المثابرة والصبر والإيمان بالله .

وراقبت ألوف الأجسام النحيلة الهزيلة والوجوه الباهتة الشاحبة ،
والأعصاب المحطمة والأنفس القلقة التاعسة يدركها الله برحمته وبرّه فاذا
نحوها وشحربها وقلقها يستحيل إلى أجسام مكتنزة ووجوه ناضرة ونفوس
قائعة مستبشرة راضية ...

وكم وقفتُ حيال مريض شفّه الداء ، وعاث السل فى رئتيه عاتياً جباراً ،
فأعلنت يأسى منه ، وعجزى عن إنقاذه وقلت لأهله : «خذوه ، فالله موجود!!»
وأنا أقولها اليوم وأرردها بإيمان وثيق ، فلقد عاد لى بعض هؤلاء الهالكين
فى اعتقادى ، وقد أثبت الله وجوده وقدرته ورحمته بأن ردّ إليهم عافيتهم
وخلق لهم عمراً جديداً ، حين عجز العلم وأفلست الخبرة وقال الطب
كلمته الأخيرة ...

وكم أقبلتُ على علاج مريض عزيز كريم وقد خيّل لى أنه يسير إلى
الشفاء بخطى سريعة ثابتة ، وأن فى وسعنى أن أطمئن إلى صحة تقديرى وصدق
فراستى ، فإذا الله يريد غير ما يريد العبد ، وإذا المضاعفات تتوالى والحالة تسوء
ويقف الطبيب عاجزاً خاشعاً مؤمناً بالله مستسلياً لقضائه وقدره ...

وإني لأستعيد — وأنا أخط هذه السطور — ذكريات ألوف من الصور
التي تمثل الصراع بين السل وبين بنى وطني ، كل منها يرسم صفحة حياة إنسانية
تتميز بطابعها الخاص ، فيبدو لي أن أروع ما صادفني في حياتي العملية ، صور
أولئك المرضى الذين ملأ الإيمان بالله قلوبهم ، لا فرق بين دين ودين — كلهم
سواء في رباطة الجأش ، واستقبال الخير والشر ، بل الحياة والموت ، وقد خلع
عليهم الإيمان جلالاً مؤثراً حقاً ، يهز القلوب ويستولى على المشاعر ...

فلتكن رسالة المصححة في ختام عامها العشرين إلى مرضاها الذين استردوا
عافيتهم في رحابها أطيب التمنيات ، وإلى مرضى السل عامة رسالة الأمل في
الشفاء المقرون بالصبر والإيمان بالله ، فليس أقتل من اليأس والقلق وتزعزع
العقيدة لمرضى السل في صراعهم الرهيب . وفي وسعي أن أؤكد لهم أن السل
مرض قابل للشفاء ، بل هو أكثر الأمراض قبولاً للشفاء . والفكرة الخاطئة
التي رسخت في أذهان الجماهير عن استحالة شفاؤه وهم بدده العلم ، وأثبتت عكسه
ألوف حالات السل التي شفيت ، وعاد أصحابها إلى حياتهم العادية بعد علاج قد
يطول أحياناً ، ولكنه خليق أن يرد إلى المريض عافيته إذا سارع إلى العلاج
قبل أن يستفحل الداء ويعز الدوا ...

ومستوصفات الأمراض الصدرية ، المنتشرة الآن في جميع أنحاء البلاد
تفحص المرضى مجاناً ، وتبذل لهم النصيحة وتوجههم إلى معاهد العلاج التي تناسبهم .
ولقد شهدت فجر نهضة كفاح السل في مصر ، وفي وسعي أن أسجل هنا أن
الخطوات التي خطتها البلاد في هذا السبيل خطوات موفقة سديدة ، فقد تطور
الرأي العام تطوراً ملاماً وتنبه إلى خطورة مشكلة السل في مصر ، وأقبل
الجمهور إقبالا رائعاً على التبرع « للجمعية النسائية لتحسين الصحة » حين دعته

إلى تمويل مشروعها الاجتماعي الذي يهدف إلى إعانة عائلات المسولين في مصر .
وآمن الناس بجدوى العلاج المصحى ، وتزاحم المرضى على أبواب المصحات .
يلتمسون العلاج بها ، ويلحون في المزيد منها ، واستجاب ولاية الأمر لهذا
الرجاء وهذا الالحاح بوضع مشروعات كثيرة ، لزيادة عدد المعاهد المخصصة
لعلاج مرضى السل والعمل على تنفيذها .

ولقد سبق لى أن قلت فى ختام إحدى المحاضرات العامة التى أقيمتها فى أول
العهد بكفاح السل فى مصر : « واعتقادت أنه لا سبيل إلى إصلاح جانب من
جوانب الحياة فى أمة ما ، إلا إذا شعر أفرادها بالحاجة إلى هذا الإصلاح ،
وأدرك الكل مداه . »

وقد كان يبدو لى أن ذلك القول حين قلته بصدد مشكلة السل ، أمنية من
الآمانى وحلم من الأحلام .

وإنى لأشعر باغتناب لا يوصف حين أرى اليوم كيف تحققت هذه
الأمنية وصحت هذه الأحلام . . .

ولتكن كلمة الختام : دعاء خالصاً أتوجه به إلى الله العلىّ القدير — يردده
معى ألوف المصدورين وأهلهم وذووهم — أن يجزل الثواب لمنشىء مصحة
فؤاد الأول ، الملك المصلح المغفور له حضرة صاحب الجلالة الملك
المعظم فؤاد الأول ، وأن يحفظ بعنايته ورعايته حضرة صاحب الجلالة الملك
المعظم . فاروق الأول ، الرائد الأول فى ميدان الإصلاح الاجتماعى فى مصر ،
مناط الرجاء لهذا الوطن الحبيب ، إنه سميع مجيب .

Mais les acclamations joyeuses et reconnaissantes continuaient.

Après cette journée, tout marcha bien. Pourtant nous eûmes encore quelques fameux ennuis avec les égoûts !.. Mais j'espère que la plantation d'eucalyptus que l'on projetait alors a donné une forêt magnifique et se charge aujourd'hui de pomper les eaux contaminées !

Ce fut un jour bien mélancolique que le jour des adieux, à la fin de l'été de 1929. Les circonstances m'obligeaient à partir : la santé de Madame Burnand, l'éducation de nos cinq enfants étaient des motifs déterminants. Pourtant, avec quelle joie ne serais-je pas resté quelques années de plus, pour collaborer à la création de dispensaires antituberculeux, ou d'autres établissements de cure !

Notre séparation d'avec les malades, d'avec tous nos amis égyptiens, très émouvante, ne fut pourtant qu'une séparation matérielle. Nos pensées restent en contact incessant avec un pays qui fut pendant trois années comme notre patrie. Vous m'avez écrit aujourd'hui, mon cher Moudir. Votre enveloppe contenait des photographies témoignant de votre travail intense et fructueux. Permettez-moi de vous féliciter pour ce bel effort et ces magnifiques succès. Je sais le sanatorium Fouad entre bonnes mains, et rien ne saurait me combler davantage de satisfaction et de reconnaissance envers Dieu, que de savoir que notre grand travail de pionniers, il y a vingt ans, n'a pas été vain, mais qu'il a porté de tels fruits, au bénéfice d'un pays que nous ne cesserons jamais d'aimer, les miens et moi.

Veuillez dire à tous nos amis d'Egypte et d'Hélouan nos pensées les plus fidèles et nos vœux pour l'avenir de votre beau pays, et en particulier du sanatorium Fouad Ier et des malades qui viendront y retrouver la santé.

Cordialement à vous

Dr. R. Burnand.

Vous vous souvenez, mon cher ami, des efforts que nous dûmes déployer. Le ministère des Wakfs se montrait complaisant à nos incessantes sollicitations; et nos chers collaborateurs quotidiens, Ibrahim pacha Fahmi, le Dr. Salem bey Hindawi, le Dr. Nazim, nous encourageaient de leur cordialité. Mais par instants, nous sentions peser sur nos épaules et sur nos cœurs un fardeau trop lourd. Il semblait que la tâche fût irréalisable dans le temps très court dont nous disposions. Mais au fond de nos consciences une petite phrase revenait sans cesse, insistante: « Il faut sauver les tuberculeux égyptiens. » Un autre sentiment nous portait et nous liait: celui de la responsabilité dont le souverain d'Égypte, le grand Roi Fouad Ier nous avait fait l'honneur de nous charger. Nous avions envers lui le devoir de persévérer. C'est ainsi que, peu à peu, grâce à la collaboration de tous, le sanatorium devint apte à remplir son rôle. Les malades succédaient aux malades. Beaucoup guérissaient. Le climat désertique s'avérait excellent pour les phtisiques, surtout en hiver. Même en été, saison pendant laquelle vous dirigiez avec énergie et conscience le sanatorium, les progrès ne ralentissaient pas. Ces faits démontraient la clairvoyance du Roi Fouad, qui avait le premier songé à installer son sanatorium à Héliouan.

Vous souvenez-vous, mon cher Confrère, de l'inoubliable journée d'inauguration, le 19 février 1928? Ce fut là la récompense de nos peines. Le temps était radieux, comme toujours en votre beau pays. Toutes les notabilités du Caire étaient présentes pour entourer le Souverain, et l'éminent ministre des Wakfs, El Gharaibly pacha lui remit en dédicace « son sanatorium ». Le roi parcourut les services, disant un mot affectueux aux malades. Il admirait la bonne tenue des employés, la propreté des dortoirs. Les moustiquaires étaient ornées d'un ruban rose, chez les dames — et bleu chez les messieurs. Même les crachoirs avaient été décorés. Le roi, me demanda: « Est-ce toujours comme ça? » Cette question me mit dans un certain embarras!

Les malades acclamaient el Malek du haut des galeries quand il pénétra dans le jardin. Il me dit alors, plein de sollicitude: « Dites-leur de ne pas crier; cela va fatiguer leurs poumons. »

Texte d'une lettre reçue de Mr. le Docteur René Burnand,
Premier Directeur et Organisateur du Sanatorium Fouad Ier,
Hélouan.

Lausanne, le 8 juin 1946.

Mon cher Docteur Abd el Raouf,

Vous voulez bien me demander un article pour la brochure commémorative que vous consacrez aux 20 premières années du Sanatorium Fouad. Il me semble préférable de vous écrire à cette occasion une lettre, et je serai très heureux de voir le texte de celle-ci figurer au nombre des travaux, récits, commémorations diverses qui composeront cette brochure.

Car je me sens lié par une profonde amitié et un constant intérêt au destin du sanatorium que nous avons organisé en commun pendant les dures et belles années 1926-1929. Que de souvenirs cette période de ma vie n'évoque-t-elle pas dans mon esprit! Nous arrivions de Suisse, pays de prairies, de forêts et d'eaux courantes — et nous nous trouvions tout à coup transportés dans la chaleur torride et sèche du désert. Notre futur sanatorium n'était encore qu'une ruine. Il fallut d'abord trouver un gîte pour la famille, pour ma femme, de santé délicate, pour nos cinq enfants dont le dernier n'avait pas un an. Nous choisîmes Maâdi, sorte de paradis. Mais au bout d'un mois, Madame Burnand me dit: « Non, nous ne resterons pas dans ce paradis. Nous sommes venus en Egypte pour les malades; allons vivre auprès d'eux. » Et nous nous transportâmes au sanatorium d'Hélouan, où le ministère nous avait réservé un charmant appartement. Il fallut en même temps apprendre l'arabe; langage qui n'est pas précisément facile. Mais bientôt nous apprîmes à dire au moins *mâlech!* et ce mot nous fut parfois d'un grand secours, si bien que je l'ai introduit en Suisse! Il fallut nous adapter à notre nouveau milieu, et surtout, travailler activement à l'organisation de l'immense maison qui devait devenir d'urgence le refuge des malheureux tuberculeux d'Egypte.

المحتويات

الصفحة

الإهداء	٣
إليها... (قصيدة الإهداء)	٥
تقديم — ترجمة رسالة من جناب الدكتور برناند	٩
تمهيد وإيضاح	١٢
القسم الأول — عهد وزارة الأوقاف — الإدارة السويسرية .	
١ — قصة مبنى المصلحة وتاريخه	١٧
٢ — فكرة تخصيص المبنى لمرضى السل	١٩
٣ — اختيار المدير السويسرى الأول (دكتور برناند)	٢٢
٤ — الصعاب الأولى . المكافئون الأبطال	٢٥
٥ — الصيف الأول العصيب	٢٨
٦ — إفتتاح المصلحة الرسمى	٣٣
٧ — أول مؤتمر دولى لكفاح السل تمثل فيه مصر	٤٢
٨ — استعراض وجيز لجهود المصلحة فى سنواتها الثلاث الأولى	٤٥
٩ — تعريف بجناب الدكتور رينيه برناند	٤٩
١٠ — المدير السويسرى الثانى . (الدكتور إريك زيمرلى)	٥٠
١١ — استعراض وجيز لحالة المصلحة أثناء الثلاث السنوات الثانية	٥١
ملحق تاريخى — التقارير المرفوعة إلى الحكومة المصرية	
عن المؤتمر السادس للاتحاد الدولى ضد السل	٥٥
الرسالة التى قدمها مندوبو مصر إلى المؤتمر	٦٣

القسم الثاني — عهد وزارة الصحة — الإدارة المصرية . . .

- ١ — تمهيد ٦٩
- ٢ — فترة انتقال — تمصير الإدارة ٧٠
- ٣ — إيضاح واجب ٧٢
- ٤ — عمليات تفريغ الكهوف الرئوية ٧٤
- ٥ — نمو المصحة التدريجي في عهد وزارة الصحة ٧٥
- ٦ — بيان إحصائي عن حركة قبول المرضى بالمصحة ٧٧
- ٧ — بيان إحصائي عن نفقات المصحة وإيراداتها ٧٨
- ٨ — نشاط المصحة العلمي والثقافي ٧٩
- ٩ — رسائل علمية صدرت عن المصحة باللغات الأجنبية ٨٢
- ١٠ — الأطباء الذين عملوا بالمصحة خلال العشرين عاماً الأخيرة ٨٤
- ١١ — المصحة بين مصر الجديدة وحلوان ٨٨

القسم الثالث — مستقبل حلوان الصحي في الميزان

- ١ — أثر تبديل الهواء (الجو) في علاج السل ٩٠
- ٢ — صلاحية جو حلوان لعلاج السل الرئوي ٩٣
- ٣ — خطر وجود مرضى السل في مراكز السياحة المشهورة ٩٥
- ٤ — مشروع تخصيص المنطقة الشرقية من حلوان لإنشاء مركز
علاجي للسل وغيره من الأمراض ١٠١
- ٥ — تعقيب وختام ١٠٧
- النص الفرنسي لرسالة جناب الدكتور رينيه برناند . (التقديم) ١١٢

بيان عن الصور المدرجة في صلب الرسالة

الصفحة

- جذاب الدكتور رينيه برناند المدير السويسرى الأول ٩
البارون يوهان فوق كنبوب — منشئ فندق الحياة ١٧
صورة تذكارية لأطباء المصححة فى سنة ١٩٣١ ٥٣

بيان عن الأشكال التوضيحية و الرسوم البيانية

- رسم بيانى عن عدد أسرة المصححة خلال السنوات الثلاث الأولى ٤١
خريطة القطر المصرى وعليها بيان عن انتشار السل فى مصر . ٤٦
رسم بيانى يوضح نسبة حدوث النزيف الرئوى بحلولان ٤٨
رسم بيانى عن نمو المصححة التدريجى خلال سبع سنوات ٥١

بيان عن الجداول الاحصائية

- نمو المصححة التدريجى فى عهد وزارة الصحة ٧٥
حركة قبول المرضى بالمصححة ٧٧
هفقات المصححة وإيراداتها ٧٨
رسائل التى صدرت عن المصححة باللغة العربية ٧٩
رسائل التى صدرت عن المصححة باللغات الأجنبية ٨٢
لأطباء الذين عملوا بالمصححة خلال عشرين عاماً ٨٤

بيان عن الصور الملحقة

مقابل الص

- ٢ حضرة صاحب الجلالة المغفور له المليك المعظم فؤاد الأول منشيء المصححة
١٤ منظر عام لمصححة فؤاد الأول من الواجهات القبليّة
١٦ ملحق مصور مؤلف من ست عشرة ورقة صقيلة :
عشر ورقات تحوى صور تذكارية من سجلات المصححة
ست ورقات تحوى صور عن عملية تفريغ الكهوف الرثوية ...



حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول مع الدكتور برناند في الحديقة يوم الافتتاح الرسمي.



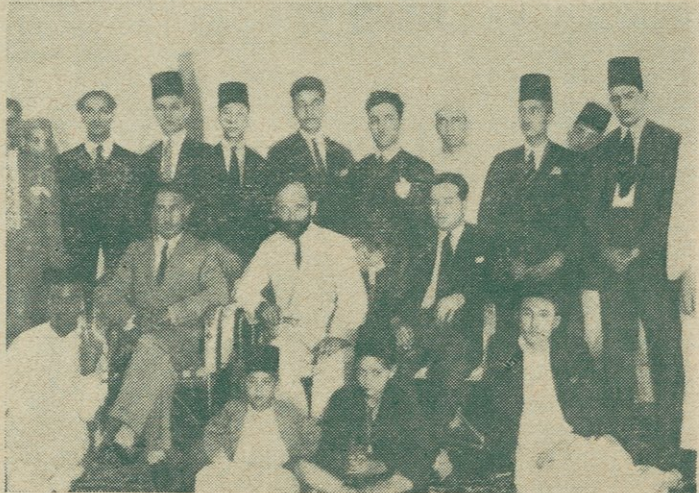
صاحب السعادة الدكتور
سالم هندواوى باشا مدير القسم
الطبي بوزارة الأوقاف عند
إنشاء المصححة
(الصورة أخذت في عام ١٩٤٦)

→
حضرة صاحب
الجلالة الملك
فؤاد الأول يوقع
دفتر الزيارة في
يوم الافتتاح الرسمي
دكتور برناند ،
معالي الغرابي باشا ،
معالي سعيدي
ذو الفقار باشا .



←
معالي الغرابي باشا
وسط أطباء المصححة
وممرضاتها ، وبعض
مريضات المصححة في
سنة ١٩٢٨

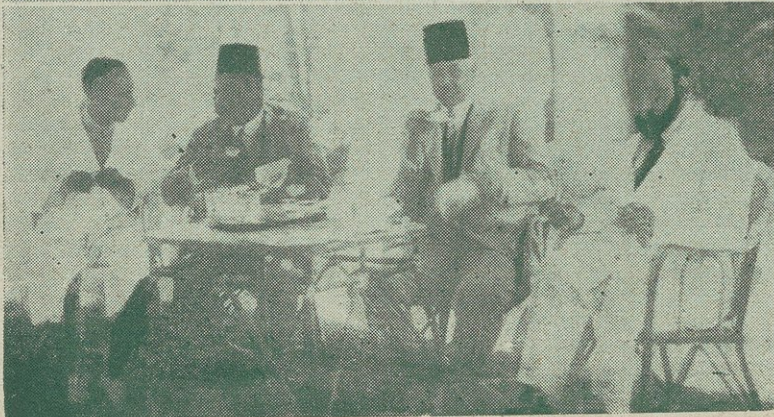
→
دكتور برناند ودكتور
عبد الرؤف ودكتور
شكري وسط أول فرقة
تمثيلية بالمصححة مؤلفة
من مرضى وموظفين ،
وبينهم حسين أفندي
فياض مدرب الفرقة
سنة ١٩٢٨



→
في سنة ١٩٢٧ — دكتور برناند
في الوسط (بالطربوش) وإلى اليمين
دكتور جلبير (بالطربوش) وإلى
اليسار دكتور عبد الرموف وخلفهما
دكتور يانفو بالطربوش ودكتور شكري



في سنة ١٩٢٨ ، دكتور برناند ، دكتور
صفوت بك ، دكتور سالم بك هندواي
الاستاذ القباني ، مراد محسن باشا، المغربي
باشا ، وخلفهم، دكتور شكري ودكتور
عبد الرموف في حديقة المصححة
↓



←
في سنة ١٩٢٨
معالي القرايبي
باشا ، وابراهيم
فهيم باشا مع
مدير المصححة
ووكيلها .



مندوبو مصر في مؤتمر روما عام ١٩٢٨ بين لقيف من أعضاء المؤتمر



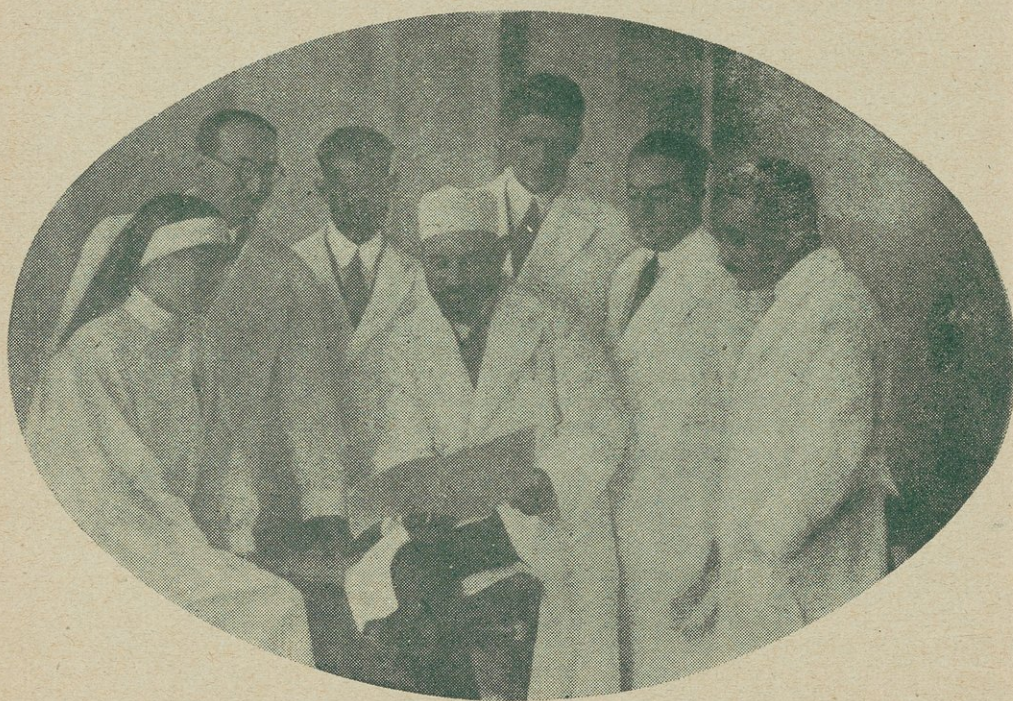
أعضاء مؤتمر القاهرة الدولي بالمصحة في عام ١٩٢٨



صورة تذكارية لأطباء المصحة وبعض مرضاها في أبريل سنة ١٩٢٩ دكتور برناند وحرمة وأولاده في الوسط)
دكتور عبدالرؤف ودكتور العشري ودكتور الفصال (إلى اليمين) دكتور منكري ودكتور شريف (إلى اليسار)



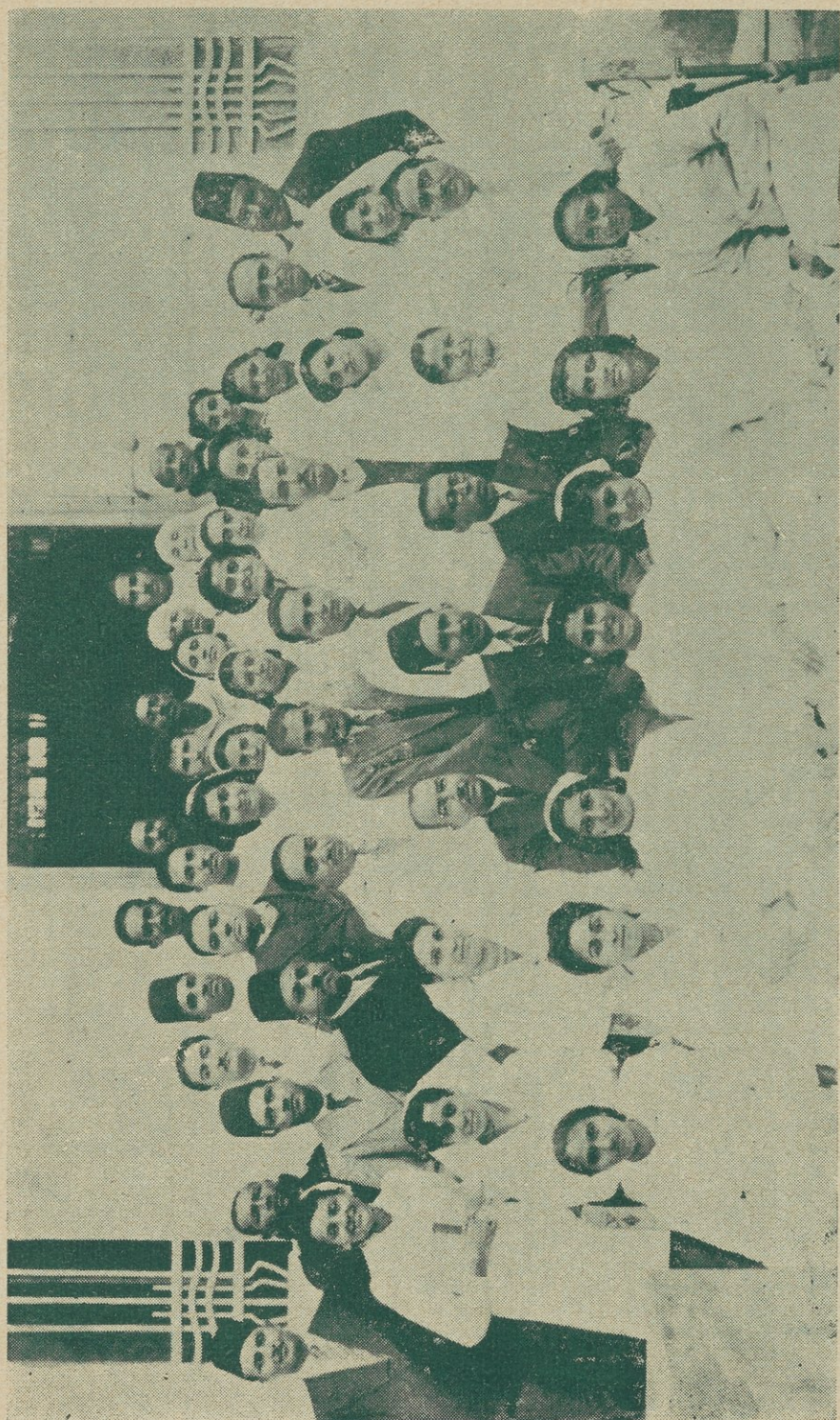
دكتور برناند بين مساعديه من الأطباء والمرضات في سنة ١٩٢٨





دكتور
 دكتور
 دكتور
 دكتور
 دكتور
 دكتور
 دكتور
 دكتور
 دكتور
 دكتور
 دكتور

صورة تذكارية لأطباء المصحف في فبراير سنة ١٩٣٦



صورة تذكارية لأطباء المصحة ومرضاتها وموظفيها في سنة ١٩٤٥ — دكتور عبد الرؤوف (في الوسط بالطر بوش) ،
دكتور شيف (إلى اليسار) دكتور الشال (إلى اليمين) وخلفهم ، حمدى افندى (صلى) ، دكتور عطيه ، دكتور نجم ، دكتور عبد العظيم



دكتور العشري في سنة
١٩٢٨



دكتور الشال في أكتوبر
١٩٢٨



دكتور شكرى في صيف
١٩٢٧



دكتور عبد الرؤوف حسن
في صيف سنة ١٩٢٧

من ذكريات الشباب

مديرو مصحة فؤاد الأول بحلوان

(خلال عشرين عاما)



دكتور إريك زيمري (١٩٣٠ — ١٩٣٢)
(ثلاثة أعوام)



دكتور رينه برناند (١٩٢٦ — ١٩٢٩)
(ثلاثة أعوام)



دكتور عبد الرؤوف حسن
من يناير ١٩٣٣ إلى ١٩٤٦
(أربعة عشر عاما)



« تفريغ الكهوف الرئوية ، عملية جراحية حديثة ، أجريناها لأول مرة في مصر ، بطريقة مُبتكَرة ، في مصحة فؤاد بجلوان ، والصور التالية تعرض بعض النتائج التي لا تحتاج إلى تعليق . (راجع القسم الثاني الصفحة - ٧٤ - من هذه الرسالة)

الصورة - ١ - كهف كبير جداً شامل لأكثر من نصف الرئة اليسرى بعد خراج رئوي ، قبل العملية .

(م. ١٠. ع)

(م. ١٠. ع)



الصورة - ٣ - بعد شهرين من العملية وقد زال الكهف . (الفسفرة لا تزال موجودة)



الصورة - ٢ - بعد أسبوع من العملية وقد صغر الكهف إلى النصف .



الصورة - ٥ - بعد العملية بأسبوعين ،
الكهف أصبح $\frac{1}{4}$ حجمه الأصلي .

(م ٠ م ٠ ع)

الصورة - ٤ - كهف كبير بقعة الرئة اليسرى
قبل العملية .

(م ٠ م ٠ ع)



الصورة - ٧ - بعد ثمانية شهور من العملية ،
الكهف غير موجود .

الصورة - ٦ - بعد شهر من العملية ،
وقد زال الكهف تماما .



الصورة - ٩ - بعد العملية يومين
وترى القسطرة داخل الكهف .

الصورة - ٨ - كهف كبير بقمة الرئة اليمنى
قبل العملية .

(١٠ م ١)

(١٠ م ١)



الصورة - ١١ - بعد ستة شهور من العملية
ولا يوجد أثر للكهف .

الصورة - ١٠ - بعد العملية بشهر
وقد اندمل الكهف .



الصورة - ١٣ - بعد العملية بيومين
تبدو القسطرة داخل الكهف .

الصورة - ١٢ - كهف كبير بقمة الرئة اليسرى
قبل العملية .

(ع.ع)

(ع.ع)



الصورة - ١٥ - بعد عشرة شهور من العملية
ولا يوجد أثر للكهف .

الصورة - ١٤ - بعد ستة أسابيع من العملية
وقد اندمل الكهف .



الصورة - ١٧ - بعد العملية بأسبوع .
القسطرة داخل الكهف .

الصورة - ١٦ - كهف كبير بقمة الرئة اليمنى
قبل العملية .

(ص ٤٠)

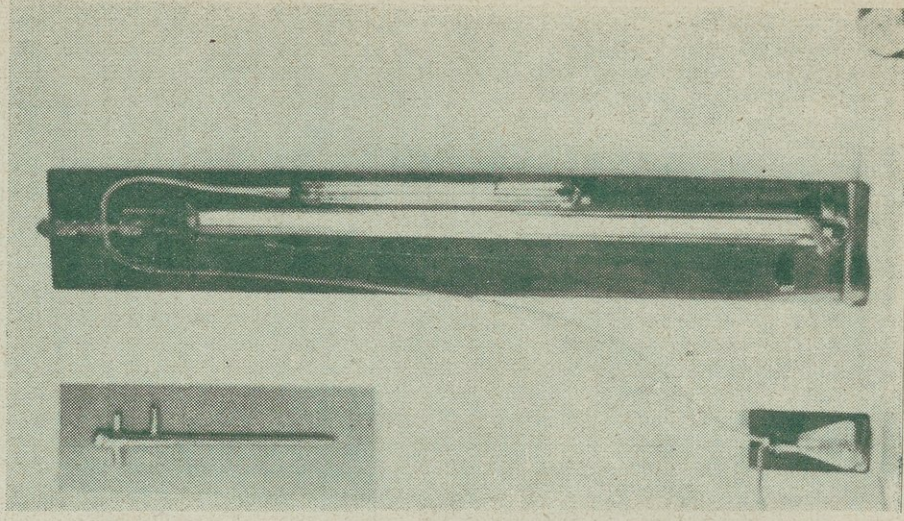
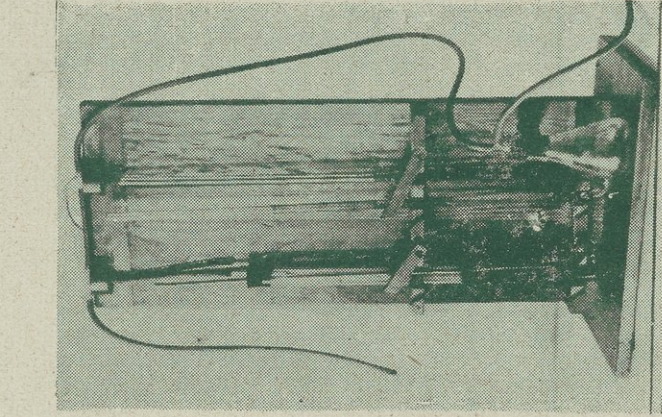
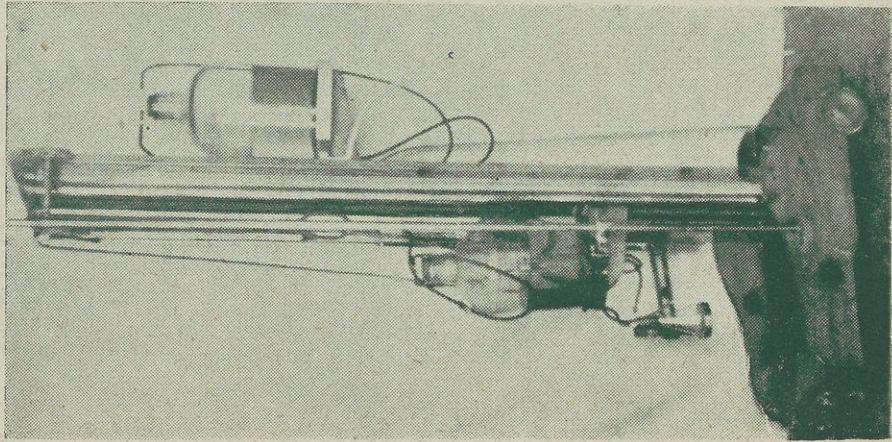
(ص ٤٠)



الصورة - ١٩ - ثلاثة شهور بعد العملية .
وقد اختفى الكهف .

الصورة - ١٨ - ثلاثة أسابيع بعد العملية .
الكهف غير واضح .

أجهزة مبتكرة استعملناها في عملية تفريغ الكهوف الرئوية، وهي مصرية صممتها وفكرتها وصناعتها.



إلى اليمن : آلة جراحية وجهاز سحب للحائط .

إلى أعلا : جهاز تفريغ سهل النقل .

إلى اليسار : جهاز تفريغ ذو زجاجتين .



362.962:H34mA:c.1

حسن، عبد الرؤوف

مصححة فواد الاول بخلوان

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01021108

American University of Beirut



362.962

H34mA

General Library

362.962

H34 m A